

خطاب الرحلة "الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة" للأنتاكي نموذجاً

د. عبد الله محمد عيسى الغزالي*

ملخص

ركزت الدراسات النقدية الحديثة على الأجناس الأدبية السردية، وأجرى كثير من الباحثين دراسات تطبيقية على نماذج من الأعمال الأدبية السردية المختلفة كقصص الحيوان الرمزية، والمقامات، والروايات، في حين ظلت الرحلة بعيدة عن اهتمامات الباحثين. ومن هنا تتناول هذه الدراسة الرحلة، لسد الفراغ، لعد الرحلة المسرودة، وليس فعل الرحلة، جنساً أدبياً سردياً. ولقد حتم ذلك تناول خطاب الرحلة، وفحص مكوناته السردية الثلاثة: السارد، والمسرود، والمسروود له. واتخذت الدراسة من رحلة الأنتاكي "الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة" نموذجاً.

واتضحت نتائج الدراسة في الخاتمة؛ إذ تأكد أن الرحلة المسرودة جنس أدبي سردي، وذلك بعد فحص مكونات الخطاب في رحلة الأنتاكي، فكان المكون الأول: السارد/ الأنتاكي سارداً محتكراً للرحلة فعلاً وخطاباً، منذ انطلاقها من المحمرة حتى وصولها إلى الكويت، كما أدى السارد/ الأنتاكي وظيفته التنظيمية لفعل الرحلة إيحاراً، ووظيفته التنظيمية لملفوظ الرحلة سرداً. ثم جاء المسرود مكوناً ثانياً لخطاب الرحلة؛ إذ اعتمد السارد/ الأنتاكي على ثلاث صيغ هي: السرد والوصف والحوار. أما المسرود له فكان المكون الثالث لخطاب الرحلة الذي نهض بمهمة تلقي المسرود، والتواصل مع السارد، لاستقبال الصورة المسرودة لفعل الرحلة وتخيلها. كما تبين أن المسرود له هو الذي سرد له السارد ملفوظ الرحلة غير القارئ، والذي لم يكن ليخطر على بال السارد، والذي قرأ ملفوظ الرحلة بعد أكثر من مائة عام.

* أستاذ مساعد - قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة الكويت

Voyage Discourse
Blossoming Gardens Between Kuwait and
Al- Mohammarah by Antakyan as a model
Abstract

Modern Critical studies have recently concentrated on literary narrative genres, and many researchers have applied their studies to samples of different literary narratives, such as symbolic animal stories,

stop-over accounts and novels. However, voyage literature remained outside their scope of interest. Hence, the present study deals with 'voyage' to fill a gap, as voyage narrative, not the act of it, is a literary narrative genre. Therefore, this study tackles voyage discourse, investigating its three narrative components; the narrator, the narrated, and the narrated to. The study takes the voyage of the Antakyan 'Al-Riyadh Al-Muzhira Bayan al-Kuwait Wal-Mohammarah' (Blossoming Gardens Between Kuwait and Al-Mohammarah) as a model.

The findings of the study were made evident in the conclusion wherein the narrated voyage was proven to be a literary narrative genre. After investigating the components of discourse in the Antaki voyage, the first component was the narrator/ the Antakyan who monopolized the voyage deed and discourse from its outset at the Al-Mohammarah till his arrival in Kuwait. The narrator/ the Antakyan has organized both the navigation and the narration of the voyage. The second component of the voyage account was the 'narrated' in which the narrator/ the Antakyan depends on three style techniques; narration, description and dialogue. The narrated to was the third component of the voyage discourse, which enhanced the recipient's reaction to the narrated and his association with the narrator to receive and visualize the voyage. The conclusion also reveals that the narrated to is not the reader, who never occurred to the narrator's mind, and who read the voyage narration more than a hundred years later.

ركزت الدراسات النقدية الحديثة على الأجناس الأدبية السردية، واهتم كثير من الباحثين بتطبيقات نظرية على بعض الأعمال الأدبية السردية القديمة. ولقد تناول بعض الباحثين الرحلة العربية من جوانب تاريخية وثائقية، أو اجتماعية معرفية تتناول الآخر. أما هذه الدراسة فتتناول الجانب السردى الفنى والجمالى فى نص الرحلة، مع الإفادة من الجانبين التاريخى والاجتماعى. ولعدّ الرحلة المسرودة، لا فعل الرحلة، جنسا من الأجناس الأدبية السردية، كان لا بُدّ من دراسة خطاب الرحلة، ومكوناته السردية للتحقق من ذلك. ولقد اختيرت رحلة عبد المسيح الأنطاكى: "الرياض المزهرة بين الكويت والحمة"، نموذجا تؤسس عليه الدراسة من الجانب التطبيقي، لتحديد مكونات الخطاب السردى فيها.

إضاءة:

عرف الإنسان الرحلة منذ أن خلق، فدأب على الرحلة والانتقال من مكان إلى آخر، طلبا للرزق، وبحثا عن الأمان. وتعد رحلة المصريين سنة 1493 قبل الميلاد "من أقدم الرحلات التجارية والإثنوجرافية على الإطلاق"⁽¹⁾.

ويعد هيرودتس من أوائل الرحالة الذين سجلوا رحلاتهم، فى القرن الخامس قبل الميلاد. وكان للفينيقيين رحلاتهم أيضا التى "خاضوا فيها عباب المحيط الأطلسى، وحطوا رحالهم فى الجزائر البريطانية"⁽²⁾. ثم كان للإغريق بعدهم رحلاتهم أيضا، فأقاموا "مستعمرات لهم فى البحر الأسود وفى بحر الروم"⁽³⁾.

ويعد ماركو بولو البندقى، المتوفى سنة 725هـ/ 1324م، من أكبر الرحالة والمكتشفين، البريين، وأبرز من كتب عن الصين وما حولها من البلاد. أما كريستوفر كولومبس، المتوفى سنة 912هـ/ 1506م، فقد حقق نجاحا عالميا كبيرا باكتشافه أمريكا. كما يعد الرحالة البرتغالى فرديناند ماجلان، المتوفى سنة 928هـ/ 1521م، من أبرز الملاحين الرحالة باكتشافه الممر الذى سُمى باسمه، والذى يصل المحيطين الأطلنطى بالهادي. كما يعد الرحالة فاسكو داجاما، المتوفى سنة 931هـ/ 1524م، من أكبر الرحالة البحريين باكتشافه رأس الرجاء الصالح. ويعد تشارلز داروين، المتوفى سنة 1300هـ/ 1882م، صاحب نظرية النشوء والارتقاء، من أبرز الرحالة البحريين أيضا لدورانه حول العالم، وما صاحب هذه الرحلة من اكتشافات علمية مذهلة⁽⁴⁾.

ولقد عرف العرب الرحلة أيضا. وكان لهم فى الجاهلية رحلتان، رحلة الشتاء إلى الشام، ورحلة الصيف إلى اليمن، وقد ذكرتا فى القرآن الكريم. واستمر العرب فى رحلاتهم المختلفة بعد ظهور الإسلام، واستقرار الدولة الإسلامية، ولاسيما فى

العصر العباسي⁽⁵⁾. وقسم الدكتور حسين نصار الرحلات إلى أقسام: منها الرحلات الدينية كرحلة ابن جبير، المتوفى سنة 614هـ/ 1217م، إلى الحج، والاقتصادية كرحلة أحمد بن ماجد السعدي، المتوفى سنة 904هـ/ 1498م، حول رأس الرجاء الصالح، والعلمية كمجموع الرحلات الجغرافية والنباتية والطبية والعقلية والنقلية التي سجلها الشريف الإدريسي المتوفى سنة 560هـ/ 1160م، في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، والإدارية، لمعرفة أخبار العالم ليطلع عليها الحاكم، التي كان أبرزها كتاب "الممالك والممالك" لعبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة، الذي أتمه نحو سنة 232هـ/ 846م، والسفارات التي بعث بها الحاكم إلى حاكم آخر، وأبرزها رحلتا يحيى بن الحكم الغزالي، المتوفى سنة 250هـ/ 864م: الأولى إلى القسطنطينية، والأخرى إلى جتلاند، والشخصية، تلك التي قام بها أشخاص لأسباب شخصية، وهي كثيرة، والتنمية، لتفقد أحوال الدولة، كرحلة سلام الترجمان، المتوفى سنة 232هـ/ 846م؛ إذ أرسله الواثق بالله إلى الصين، ليتعرف خبر السد الذي بناه ذو القرنين، وخبر يأجوج ومأجوج. والرحلة الخيالية، كرسالة الغفران لأبي العلاء المعري، المتوفى سنة 449هـ/ 1057م⁽⁶⁾.

ولعل الرحلات الدينية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، ولاسيما رحلات الحج، كانت الأكثر انتشاراً؛ إذ سجل كثير من العلماء العرب والمسلمين رحلاتهم من بلدانهم حتى مكة المكرمة، مدونين ما شاهدوه في محطات الرحلة وأيامها. كما برزت الرحلة إلى بيت المقدس أيضاً، ثالث الحرمين، وإلى القسطنطينية، ولاسيما أيام الدولة العثمانية، عاصمة الدولة. ولابد هنا من الإشارة إلى رحلة القس إلياس ابن حنا الموصلي الكلداني إلى أمريكا، (1079-1095هـ/ 1668-1683م)، فهي نموذج آخر من الرحلات العربية إلى أمريكا.

ونحن هنا لا يعنيها فعل الرحلات، من حيث الانتقال من مكان إلى آخر، لأسباب مختلفة، فالرحلة بهذا المفهوم ليست أدبا، بل يعنيها سرد الرحلة، فهو المعيار الأساس لعددها جنسا أدبيا سرديا.

وعلى الرغم من كثرة الرحلات المسرودة؛ فإنني اخترت رحلة "الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة"، لعبد المسيح الأنطاكي⁽⁷⁾ نموذجا لتوافر مكونات الخطاب الرحلي فيها، ولطرافة مادتها، ولجمال الوصف فيها لإمارة الكويت، قبل حوالي مائة عام، من حيث برها، وبحرها، وناسها، وأسواقها، ومبانيها، وأحوالها، ورجالها وحكامها آنذاك، المغفور له، الشيخ مبارك الصباح.

مدخل:

قدم الدكتور ناصر الموافي عرضا لمن كتب عن الرحلة أو أدب الرحلة. في محاولة منه للوصول إلى تعريف يعتمد عليه لأدب الرحلة، غير أنه لم يستطع أن

يتوصل إلى تعريف تظمن إليه النفس، ويرضى به الناقد الأدبي المعاصر⁽⁸⁾. ولقد تتبعت أكثر الكتب التي تناول مؤلفوها الرحلة أو أدب الرحلة لعلى أجد فيها تعريفا نقديا معاصرا، ينطلق من نظريات النقد الحديث. وتعد محاولة الدكتور حسنى محمود حسين لتقديم تعريف لأدب الرحلة مدخلا جيدا لذلك؛ إذ يقول: "وبرغم ما يتسم به أدب الرحلات من تنوع فى الأسلوب من السرد القصصى إلى الحوار، إلى الوصف، وغيره... فإن أبرز ما يميزه أسلوب الكتابة القصصى المعتمد على السرد المشوق، بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى..."⁽⁹⁾.

ولعل الدكتور حسين نصار اقترب كثيرا من التعريف حين ذكر فى آخر دراسته أن "... لهذا الجنس الأدبي قوانينه من عقدة، وحبكة، وأشخاص متطورين... إلخ، ولا تأبه الرحلة الواقعية للكثير من هذه القواعد، إلا إذا كانت خيالية محضة..."⁽¹⁰⁾. وقدم مجدى وهبة وكامل المهندس تعريفا لمصطلح أدب الرحلة فهو: "مجموعة الآثار الأدبية التى تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته فى بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف من عادات وسلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التى يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا فى آن واحد..."⁽¹¹⁾.

غير أن عبد الوهاب الرقيق وهند بن صالح اقتربا من المصطلح، وقدموا تعريفا علميا، أكثر دقة وعمقا، قائما على إدراك تام ووعى بالدراسات النقدية الحديثة للأجناس الأدبية، وذلك عندما قدموا تعريفا لأدب الرحلة الغفرانية لأبى العلاء المعرى، فهى: "... جماع أجناس... الرحلة حكاية وخطاب، هى حكاية لأنها تعرض وقائع؛ أى أحداثا أنجزها أو تتجزأ شخصيات...، وهى حكاية لأن أحداثها وشخصياتها محكومة بالمكان والزمان واقعيين كانا أم عجبيين، والرحلة من جهة ثانية خطاب لأن لها ساردا يحكيها ومتقبلا حقيقيا أو مفترضا بقروها. يعتمد ذلك الراوى إلى جدول الأحداث فيرتب عرضها ترتيبا مخصوصا، ويخضع نسقها، إيقاعا ومدى، لمنطق ما، ويعمد إلى الشخصيات فينظم ظهورها حسب نهج يستجيب إلى مقاصده الفنية، ويعمد إلى الأطر الحركية فيصفها تبعا لأهدافه الفكرية والفنية، إلى غير ذلك من تقنيات الإنشاء القصصى..."⁽¹²⁾.

ويغوص الدكتور سعيد يقطين فى عمق الموضوع، ويتناول خطاب الرحلة، فى دراسة قصيرة، غير أنها مهمة جدا، تعد مفتاحا لدارسى أدب الرحلة، وهى مبنية على عمق فى الفهم، وإطلاع واسع على طبيعة الدراسات النقدية الحديثة، ولاسيما غير العربى منها؛ يقول عن أهمية خطاب الرحلة: "الخطاب فى الرحلة هو شكل بنائه. والبناء له صلة وطيدة بزمنية الخطاب، إن خطاب الرحلة يتماهى مع الرحلة وعوالمها، ويسعى إلى مواكبتها من البداية إلى النهاية"⁽¹³⁾. ثم يقول فى

موضع آخر: "فعل الرحلة له منطقه الخاص ومساره المتميز، ويأتى الخطاب ليقوم بترهين" فعل الرحلة وإعطائه طابعا لفظيا..."(14).

ثم بين أن المتكلم فى خطاب الرحلة "يتفصل إلى مثير وشخصية وراو"(15)، كما بين "أن السرد والوصف صيغتان من صيغ الخطاب السردى، وبينهما تفاعل وجدل..."(16)، وبين أيضا "أن السرد فى خطاب الرحلة هو بمثابة الإطار، ويأتى التقرير ليتضمن السرد"(17)، ثم شرح بعد ذلك صيغ السرد؛ مثل: خرجنا ودخلنا، وصيغ التقرير؛ مثل: رأيت، وسمعت.

كما قدم لطيف زيتوني تعريف بنفيست للخطاب فهو: "قول يفترض متكلمًا ومخاطبًا ويتضمن رغبة الأول فى التأثير بالثاني"(18). ويكون الخطاب بضمير المتكلم، قمنا، أنجزنا، دخلت...، فى حين يكون السرد التاريخى بضمير الغائب، قاموا، أنجزوا، دخل...، كما أن الخطاب "يستخدم كل أزمنة الفعل باستثناء الماضى الناجز المقطوع الصلة بالحاضر، بينما السرد التاريخى يستخدم الماضى الناجز ولا يستخدم لا الحاضر ولا المستقبل ولا الماضى الموصول بالحاضر"(19).

لا تستطيع الدراسة منذ بدايتها أن تؤكد عد أدب الرحلة جنسا أدبيا قبل فحص مكونات خطاب الرحلة، من خلال دراسة نص رحلة عبد المسيح الأنطاكي: "الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة"، فى أقل تقدير.

ولا تعد الرحلة، من حيث هى فعل انتقال إنسان، أو مجموعة من الناس، من مكان إلى آخر، لأى سبب من الأسباب، أدبا، ولا يمكن عدها جنسا أدبيا. غير أن تحويل ذلك الفعل إلى خطاب مكتوب، وفق نظام، يمكن أن يؤدى إلى حسابان ذلك الفعل المسرود أدبا، ومن ثم عد أدب الرحلة جنسا أدبيا. فلقد قال الدكتور سعيد يقطين: "... إن خطاب الرحلة هو عملية تليظ لفعل الرحلة..."(20).

كما أنه لا يمكن عد جميع المسرودات لأفعال الانتقال من مكان إلى آخر، لغرض ما، أدبا رحليا، وما يفرق بين هذا وذلك هو مدى توافر مكونات الخطاب فى النص المسرود؛ إذ إن كثيرا من الرحلات لا تعد أدبا سرديا، لعدم توافر مكونات ذلك الخطاب فيها. ولعل أكثر الرحلات الاقتصادية والعلمية والإدارية والتمويهية والسفارات ليست رحلات أدبية سردية لخلوها من الخطاب، واعتمادها على السرد التاريخي. وعلى الرغم من أن ذلك يحتاج إلى دراسات مفصلة لكل رحلة منها، لمعرفة ما إذا كانت سردية أم لا؛ فإن الدكتور سعيد يقطين استطاع أن يقدم لنا نموذجا من الرحلات غير السردية، وأطلق عليها حكما بذلك عندما قال: "إن كتاب المسعودى لا علاقة له بخطاب الرحلة على مستوى البناء، فهو تأليف جامع بيندئ بأدم، وينتهى بحوادث (336هـ)، إنه كتاب تاريخى يستطرد فيه

المؤلف إلى ذكر مختلف العلوم الذي أحاط بها عصره... فليس بواسطة الفعل (الرحلة) نحدد النوع بل بالانطلاق من الخطاب، وطرائقه في تقديم الأفعال نعين نوعية الخطاب⁽²¹⁾. ويمكن أن نزيد على ذلك أن ما كتبه بعض المؤرخين عن الحروب الصليبية مثل ابن الأثير في "الكامل"، وابن شداد في "سيرة صلاح الدين"، وابن خلكان في "وفيات الأعيان" وابن واصل في "مفرج الكروب في أخبار ملوك بني أيوب" لا يعد سرداً، بل هي كتابات تاريخية عن صلاح الدين الأيوبي، وحروبه مع الصليبيين، على عكس ما كتبه أسامة بن منقذ عن حروب صلاح الدين في كتابه "الاعتبار"؛ إذ يعد عمله هذا سرداً للسيرة الذاتية، لاشتماله على خطاب السيرة الذاتية؛ إذ تتوافر فيه كل المكونات السردية. ولو فحصنا كتابي ابن عربشاه: "عجائب المقدور عن نوائب تيمور"، و"فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء"، وكلاهما في الموضوع نفسه، لرأينا أن الأول كتاب تاريخ، والثاني سرد. وكذلك هي الحال مع كتابي ابن خلدون: "العبر..." و"التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً"، فإن الأول كتاب تاريخ والآخر سرد رحلي.

ومن هنا نخلص إلى أن أفعال الرحلة والانتقال من مكان إلى آخر ليست أدباً سردياً ما لم تلفظ/ تكتب، وأن تلك الأفعال الرحلية المكتوبة لا تعد أدباً سردياً ما لم تشتمل على خطاب، وإلا عُدت تاريخاً.

وبناء على ما تقدم يمكن أن نقترح تعريفاً لأدب الرحلة، فهو: جنس أدبي سردي، يُعنى بدراسة خطاب الرحلة، ويعدُّ السارد العمود الفقري له، ويؤدي وظائفه الفنية في توجيه الخطاب، وسرد المتن الحكائي/ المسرود، وتقديمه إلى المسرود له/ معتمداً على سرد أفعال الرحلة، ثم وصف أحوالها، ثم نقل الحوار، محدداً الزمان، ومقيّداً المكان، ورأسماً الشخصيات، في جميع محطات الرحلة، وموظفاً تقنياته السردية، ومقدماً ذلك كله بلغة سردية، محافظاً على البنيات السردية الصغرى، المكون مجموعها البنية السردية الكبرى للرحلة.

ومن هنا تستطيع الدراسة أن تتطوّل للكشف عن مكونات الخطاب في أدب الرحلة، من خلال استكناه تلك المكونات السردية في رحلة عبد المسيح الأنطاكي: "الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة".

مكونات الخطاب في رحلة الأنطاكي: "الرياض المزهرة":

تتضمّن مجموعة مكونات سردية، لتكوّن خطاب الرحلة. ويمكن استكناه تلك المكونات السردية في رحلة الأنطاكي على النحو الآتي:

1- المكون الأول/ السارد:

لكل حكاية مسرودة متكلم، ينهض بعملية سردها إلى مسرود له/ متلقٍ. ولا

يمكن لأية حكاية مسرودة أن تُنتج من غير سارد لها. وكذلك الحال في الرحلة، فالمتكلم فيها هو السارد لأفعالها، سردا ووصفا وحوارا⁽²²⁾.

إن المتكلم في الرحلة "ذات مركزية"، هو المحور المركزي، على حد تعبير الدكتور سعيد يقطين، يهيمن، محتكرا، على الرحلة فعلا وخطابا. فهو المحور المركزي للرحلة من بدايتها، مرورا بأيامها/ محطاتها، إلى نهايتها فعلا، من حيث الانتقال من مكان إلى آخر، وهو المهيمن المحتكر لجميع مكونات الخطاب السردى فيها لفظا. ويظهر المتكلم في ثلاثة أشكال: المبتدئ؛ إذ قام عبد المسيح الأنطاكي/ المتكلم بذلك الدور في رحلته "الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة"، فعاش جميع مراحل الرحلة شاهدا، رؤية وسمعا وإحساسا، "يرصد من منظوره الخاص"⁽²³⁾ كل ما يجرى حوله، وهو الشخصية التي عاشت جميع الأحداث في الرحلة، وهو السارد الذي قام في مرحلة لاحقة بتحويل فعل الرحلة إلى خطاب مكتوب/ سرد.

إن حضور السارد الدائم في كل أجزائها، بأشكاله المختلفة، يعد ركنا أساسيا في سرد الرحلة، ويعد غيابه، في أى جزء من أجزائها إجهاضا للعملية السردية، فهو محور فعل الرحلة المركزية، وهو الذات المركزية لها أيضا.

ويظهر السارد في عدة أشكال:

- 1- سارد لأفعال الرحلة "أقلعت بنا الباخرة غلس يوم الثلاثاء"⁽²⁴⁾.
 - 2- واصف لأحوال الرحلة، الشخصيات والأماكن والأشياء، كوصف الشيخ مبارك الصباح، ووصف قصر الشيخ خزعل، ووصف الباخرة، التي أقلعت بهم من ميناء المحمرة إلى ميناء الكويت.
 - 3- محاور لبعض الشخصيات الأخرى، ممن معه في الرحلة أحيانا، وعندها يكون السارد محاورا جوانيا، وقد يكون برانيا، عندما يتحول شاهدا ومستمعا إلى حوار بين شخصين، ففي النموذج الأول حاور الأنطاكي الشيخ مبارك الصباح والشيخ خزعل وغيرهما حوارا مباشرا، في حين سرد حوارات بين اثنين كالحوار بين الشيخ مبارك الصباح والشيخ خزعل، وسيأتى تفصيل ذلك فيما بعد.
- يكون السارد في السرد الرحلى متماهيا، سواء أكان سرده واقعا أم عجابيا. ويبرز من الخفاء إلى التجلى، على عكس وضع السارد في المقامات. كما أن السارد الرحلى لا يمكن له أن يلبس قناعا أو أقنعة مختلفة، كما هي الحال في سرد الرواية؛ فقد كان الأنطاكي ساردا متماهيا، دائم الحضور والتجلى، فهو الذات المركزية في فعل الرحلة، وعند تليظها. لذا اعتمد الأنطاكي في سرده، على

ضمير المتكلم أو المتكلمين، مستخدما كل أزمنة الفعل: الماضي، والحاضر والمستقبل، باستثناء الماضي الناجز المقطوع الصلة بالحاضر، فهو مخصص للسرد التاريخي.

إن السارد الرحلى، المحتكر والمركزي، يؤدّي دورا رئيسا في المحافظة على البنية السردية الكبرى للرحلة. فهو الرابط بين بنياتها السردية الصغرى/ الأيام/ المحطات، المكوّن مجموعها بنية الرحلة الكبرى. ولقد استطاع الأنطاكي أن يؤدّي هذا الدور بنجاح كبير، فهو السارد المحتكر، وهو الذات المركزية الموجودة في كل أيام/ محطات الرحلة، من أبو شهر إلى المحمرة، ثم من المحمرة إلى الكويت، كما سنبين لاحقا.

كما أن الأنطاكي كان ساردا واقعيا، يسرد ما رآه بعينه، أو سمعه بأذنيه، أو أحسه بنفسه؛ إذ لا يمكن له أن يسرد حكاية خيالية، كما هي الحال عند أبي العلاء المعري في رسالة الغفران مثلا. ولا يمكن له الوجود في مكانين في آن واحد، ولا يمكن له أن يرى في الظلام، كما هي الحال في السرد الروائي. وهو دائم الحضور، لا يغيب، عند فعل الرحلة وعند تلفيظها؛ إذ إنّ غيابه، ولو جزئيا، يوقف السرد بأكمله. وإذا جاز للسارد، في سرد الرواية أو المقامة أو المسرحية، أن يكون ساخرا فلا مجال للسارد الرحلى أن يكون كذلك، فهو جاد، يلقظ فعل الرحلة جدا لا هزلا، فيسرد ما رآه أو سمعه أو أحسه بنفسه. ونستطيع باطمئنان أن نطلق على السارد الرحلى السارد الرّحال، أو المشتاق، أو المتيم، فقد عاش فعل الرحلة، وأحب حوادثها، واشتاق بعد ذلك إليها، بعد أن اختزلها في ذاكرته، ليسردها كتابة. ومن خلال السرد يؤدى السارد الرحلى عدة وظائف، أهمها⁽²⁵⁾:

وظيفة السارد:

يمكن تقسيم رحلة الأنطاكي "الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة" إلى رحلتين: الأولى، من أبو شهر إلى المحمرة، استغرقت بضع ساعات، وبقي في المحمرة من 18 ذو القعدة سنة 1325هـ/ 1907م إلى السبت 30 ذو القعدة من السنة نفسها، وحلّ فيها ضيفا على الشيخ خزعل⁽²⁶⁾، والأخرى، من المحمرة إلى الكويت، استغرقت خمس ساعات، وبقي الأنطاكي في الكويت من 30 ذو القعدة سنة 1325هـ/ 1907م حتى يوم الخميس 5 ذو الحجة سنة 1325هـ/ 1907م، وكان رفيقا للشيخ مبارك⁽²⁷⁾ في أثناء إقامته بالمحمرة، وطوال مدة الرحلة، وضيّفا له في الكويت.

ولقد أدى الأنطاكي وظيفته السردية في "الرياض المزهرة"، وكان متماهيا، لفظ فعل الرحلة من أولها إلى آخرها، كما كان جوانيا، عاش فعل الرحلة وأحداثها لحظة بلحظة، ولم يكن برّانيا. ويمكن تحديد أهم وظائفه السردية كما يأتي:

1- الوظيفة التنظيمية لفعل الرحلة:

نهض الأنطاكي في "الرياض المزهرة" ليؤدي وظيفته في تنظيم فعل الرحلة، وبيان الاستعدادات كافة لقيامها، وهي:

1-1- وقت الرحلة:

بيّن الأنطاكي وقت رحلته الأولى بقوله:

"أفلعت بنا الباخرة غلس يوم الثلاثاء 18 ذى القعدة سنة 1325هـ من مياه أبو شهر نحو المحمرة..."⁽²⁸⁾.

ثم بين وقت الرحلة الثانية إلى الكويت بقوله:

"أصبحت صباح السبت 30 ذى القعدة باكرا جدا... وفي الساعة الثانية عربية من الصباح تحرك اليخت... في شط العراق العذب، ونحن سائرون من المحمرة إلى الكويت..."⁽²⁹⁾.

1-2- الحوائج والأمتعة:

يبدو أن زمن الرحلة الأولى إلى المحمرة تطلب حوائج كثيرة، غير أن أهمهما كان رفيقي الأنطاكي طوال رحلته أعنى "الشيشة" والخادم:

"... ودخلت غرفتي فأمرت خادمي أن يعمر المدعة..."⁽³⁰⁾.

أما في الرحلة الثانية إلى الكويت فكانت حوائجه أكثر:

"... أرسلت ما معي من الصناديق والأمتعة إلى اليخت المبارك، فما كان معي إلا "شنطة" صغيرة، وفيها ما لا استغنى عنه من الحوائج..."⁽³¹⁾.

أما الشاي و"الشيشة" والخادم فلا يمكن له الاستغناء عنهم:

"... وذهب خادمي فجاءني بفنجان من "الشاي"، وملاً الشيشة فجلست..."⁽³²⁾.

1-3- وسيلة الرحلة:

قال الأنطاكي عن وسيلة رحلته الأولى إلى المحمرة:

"أفلعت بنا الباخرة..."⁽³³⁾.

وعن وسيلة رحلته الثانية إلى الكويت قال:

"سار بنا اليخت المبارك العالي في شط العراق العذب..."⁽³⁴⁾.

1-4- خط سير الرحلة وخريطتها:

وقال عن خط سير رحلته الأولى إته:

"من مياه أبو شهر نحو المحمرة..."⁽³⁵⁾.

وقال عن رحلته الثانية إلى الكويت:

"ونحن سائرون من المحمرة إلى الكويت ..."(36).

ثم قال عن خريطة السير:

"ثم قص على الفلايكي خريطة مسيرنا ..."(37).

1-5- رُبَّان السفينة والملاحون:

وقال عن رُبَّان السفينة في رحلته الأولى:

"وكان الرُبَّان يقيس عمق الماء بلا انقطاع"(38).

وفي رحلته الثانية استخدم تسمية جديدة للرُبَّان بقوله:

"ثم رأيت مولانا خرج إلى غرفة سائق اليخت القبطان الأول، وجعل يراقب بنفسه سير اليخت قابضا على السَّكَّان ..."(39).

ثم قال الأنطاكي بأسلوبه الفكاهي عن الملاحين البحرين:

"لأن هؤلاء الفلايكية في البحر شرُّ من العربية في البر"(40).

1-6- هدف الرحلة:

ولقد بين الأنطاكي هدف الرحلة في المقدمة قبل أن يسرد أيام الرحلة/ محطاتها بقوله:

"ونقتصر في هذا الكتاب على ذكر سياحتنا بين الكويت والمحمرة، لأن حاكمي هذين الصقعين، صاحبي السمو، سيدينا الشيخين الجليلين، سمو الشيخ مبارك باشا ابن الصباح، ومعر السلطنة سردار أرفع الشيخ خزل خان هما أقدر ملوك العرب جاها ومالا وفضلا، وإننا لننشر هذا القسم من سياحتنا ليعلم الناس أن لهم ملوكا عظاما وأمراء فخاما، يستطيعون أن يلتفوا من حولهم، ويعولوا عند الشدائد عليهم..."(41).

1-7- رفاق الرحلة:

لم يرافق الأنطاكي في رحلته الأولى من المقربين إليه إلا خادمه:

"ودخلت غرفتي فأمرت خادمي أن يعمر المدعة"(42).

أما في الرحلة الثانية فكان برفقته "الشيخ مبارك باشا الصباح... الشيخ حمد باشا الصباح صغير أنجاله، وسمو مولاى الشيخ عبد الله سالم الصباح حفيده... مع بقية الحاشية الكريمة..."(43).

1-8- لحظات الوداع:

بين الأنطاكي لحظات وداع الشيخ خزعل صديقه الشيخ مبارك الصباح؛ إذ بقي الشيخ خزعل في المحمرة، في حين انطلقت سفينة الشيخ مبارك الصباح، وبصحبه الأنطاكي إلى الكويت:

"وخرج سمو.. الشيخ مبارك... وللحال صعد سمو الشيخ إلى اليخت وتصافح الملكان..." (44).

ثمّ بادر الشيخ خزعل مداعبا الأنطاكي:

"ثمّ تَلَطَّف بي سمو سيدي... وتنازل بالتفاتة إليّ، وقال: لولا أنك سائر بخدمة سمو أخى المحترم لما سمحت لك بالذهاب في مثل هذه السرعة..." (45).

ثمّ سجل الأنطاكي مشاعره لحظة الوداع:

"فشكرت وحمدت وقد اغرورقت عيناى بالدموع" (46).

ثمّ سجل مشاعره ثانية شعرا في قصيدة طويلة مطلعها:

لا تجزعى يوم النوى لفراقي فالنازلات كما علمت رفاقي
وتحملى صبرا على مضض النوى حتى يمن إلها بتلاقي (47)

1-9- انطلاق الرحلة:

ثمّ انطلقت الرحلة مع صوت المدفع والموسيقا الملكية:

"وفي الساعة الثانية عربية من الصباح تحرك اليخت، وفي حال تحركه ضربت المدافع وأطلقت البنادق وصدحت الموسيقا..." (48).

وهكذا بين الأنطاكي كل الاستعدادات، وما يحتاج إليه فعل الرحلة، ليضمن لها سبل نجاحها.

2- الوظيفة التنظيمية لمفوز الرحلة:

كما أدى الأنطاكي وظيفته الثانية في تنظيم ملفوظ الرحلة، بتحويل فعلها سردا لمفوزا/ مكتوبا، في مرحلة لاحقة. ولما كان سارد فعل الرحلة متماهيا، عاش أحداث الرحلة، فإنه يعلم مسبقا مسروده، فهو جوّاني، على العكس من سارد الرواية مثلا. ويمكن تحديد وظيفة الأنطاكي التنظيمية لمفوز الرحلة بالآتي:

2-1 المقدمة النمطية:

بدا الأنطاكي سائرا على نهج كتاب الرحلات العربية بمقدمة نمطية، مهّد فيها لمسروده كما يأتي:

2-1-1- البسملة:

قال القلقشندي: "... ولم تزل الكتب تفتتح باسمك اللهم حتى نزل قوله تعالى ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فاستفتح بها رسول الله ﷺ وصارت سنة من بعده" (49).

أما الأنطاكي فقد جعل البسملة بعد التعوذ:

"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم يا مُفْتَح الأبواب افتح لنا خير الباب" (50).

2-1-2- الحمدة:

قال القلقشندي: "إنه ﷺ قال: كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجزم، اصطلاح الكتاب على الابتداء به..." (51). وسار الأنطاكي على ذات النهج: "الحمد لله، الذي وفقنا إلى الصراط المستقيم، وسدد مساعينا في خدمة العرب، ذلك الشعب العظيم، الذي فيه ينال الشرقيون الأرب" (52).

2-1-3- التسليم، والتسليم:

قال القلقشندي: "فإذا أوتى بالحمد في أول كتاب، ناسب أن يؤتى بالصلاة على النبي ﷺ في أوله... وإذا صلى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم ولا يقتصر على أحدهما..." (53).

أما الأنطاكي فكانت تصليته مختلفة بعض الشيء:

"والصلاة والسلام على سيدنا إبراهيم، وعلى ابنه سيدنا إسماعيل، وعلى النبي العربي الجليل، ورضي الله عن كل عربي نبيل، لا يرتضى عن قومه من بديل" (54).

2-1-4- البعديّة:

وهي صيغة "أما بعد" إذانا بالتخلص من المقدمة إلى الموضوع، قال القلقشندي: "اعلم أن أما بعد تستعمل في صدر المكاتبات والولايات، وربما استعملت في ابتدائها..." (55). وقال الأنطاكي:

"وبعد، فقد حدث بي حوادي السياسة..." (56).

2-1-5- الخاتمة:

وإذا كانت أكثر المؤلفات العربية تنتهي بحمد الله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ثم بالحسبة، فإن الأنطاكي اختتم سرد رحلته على خلاف ذلك بقوله:

"وبعد أن سكن روعي وتمالكت نفسي جلست وسطرت هذه الرسالة للعمران، والسلام على القراء الكرام" (57).

وفضلاً عن ذلك يلاحظ أن الأنطاكي تجاوز التشهد في المقدمة، وذلك لمسيحيته، فيما يبدو. وبذلك يكون الأنطاكي قد سار على نهج من سبقوه من الكتاب العرب بالالتزام بالمقدمة النمطية، بشكل عام، لينطلق بعدها لسرد الرحلة بأيامها/محطاتها/وحداتها السردية الصغرى.

2-2- تقسيم الرحلة:

يُكوّن ملفوظ الرحلة بشكله العام بنيتها السردية الكبرى. وعند الأنطاكي كوّنّت الرحلة من المحمرة إلى الكويت بنيتها السردية الكبرى. وتنقسم الرحلة "الرياض المزهرة" ببنياتها السردية الكبرى إلى بنيات سردية صغرى، هي أيام الرحلة/محطاتها، فقد تأتي البنية السردية الصغرى للرحلة بسرد أحداث حدثت في يوم واحد، وقد تأتي سرداً لأحداث في مكان واحد/ محطة واحدة لكنها حدثت في أكثر من يوم؛ إذ جاءت البنيات الثلاث السردية الصغرى في "الرياض المزهرة" لسرد حكايات/ أحداث وقعت كل واحدة منها في يوم واحد، وهي أيام 18، و19، و20 من ذي القعدة سنة 1325هـ/ 1907م⁽⁵⁸⁾، ثم جاءت البنية السردية الصغرى الرابعة لسرد حكاية/ أحداث وقعت في يومي 22، و23 من ذي القعدة سنة 1325هـ/ 1907م⁽⁵⁹⁾. وشملت البنية السردية الكبرى لرحلة الأنطاكي ثلاثاً وعشرين/ محطة، لسبعة عشر يوماً، كونت كل واحدة منها بنية سردية صغرى للرحلة، ليكون مجموعها بنية الرحلة السردية الكبرى.

وقد جاء تقسيم الأنطاكي لأيام/ محطات رحلته في قسمين متساويين: الأول في رحلته من أبو شهر إلى المحمّرة، ثم سياحته مع الشيخ خزعل الذي كان مستضيفاً الشيخ مبارك الصباح في المحمّرة، واستغرق هذا القسم/ الأيام/ المحطات، التي أصبحت رسائل عند سردها، من الرسالة الأولى حتى الرسالة الثانية عشرة، لتغطي الأحداث الواقعة من الثلاثاء 18 من ذي القعدة 1325هـ حتى السبت 30 من ذي القعدة 1325هـ. أما الثانية ففي رحلته من المحمّرة إلى الكويت، برفقة الشيخ مبارك الصباح، ثم سياحته في الكويت، وقد استغرق هذا القسم/ الأيام/ المحطات، التي سردها فيما بعد في رسائله في مجلة العمران، من الرسالة الثانية عشرة إلى الرسالة الثالثة والعشرين/ الأخيرة، لتغطي الأحداث الواقعة من يوم 30 من ذي القعدة 1325هـ حتى يوم الخميس الخامس من ذي الحجة 1325هـ. ولقد ساعد هذا العمل التنظيمي الأنطاكي، وسهل عليه المهمة في سرد الرحلة في بنيات سردية صغرى، كون مجموعها البنية السردية الكبرى للرحلة.

ثم نهض الأنطاكي ساردا مسروده لأيام/ محطات الرحلة، وبالطبع كان محتكرا سرده، متماهيا لا يغيب، عند حدوث الفعل وعند سرده/ تلفيظه؛ إذ إن غيابه إيذان بتوقف السرد.

ولا بُدَّ لسارد الرحلة أن يملك القدرة على سرد حكاية تترك تأثيرا في المسرود له، ويسميتها جيران جنيت "الوضع السردى" في سرد الرواية⁽⁶⁰⁾، ويسميتها لطيف زيتوني "الحالة السردية" في سرد الرواية أيضا⁽⁶¹⁾. إن السارد الحقيقي/ الأنطاكي تماهى مع السارد الضمنى؛ إذ لم تختلف شخصيته في الحالتين، لذا كان تأثيره في المسرود له الحقيقي، وهو كل من له القدرة على قراءة مسروده، ولاسيما الشيخ خزعل والشيخ مبارك الصباح، ومن معهما، واضحا، ولاسيما عند إلقائه القصائد الارتجالية في مديحهما؛ وهو مما دفعهما إلى تسميته بالولد الحبيب:

"ولقد ترحب بى الشيخان أجمل وأكمل ترحيب، وكانا يدعياننى بالولد الحبيب ..."⁽⁶²⁾.

كما كان للأنطاكي تأثير واضح في نفس المسرود له الضمنى كل من يقرأ المسرود لاحقا؛ إذ أثر ذلك المسرود فى نفسى كثيرا؛ وهو مما دفعنى إلى اختيار رحلة الأنطاكي نموذجا، لنجاحه فى تقديم صورة مؤثرة وصادقة عن الحياة الكويتية قبل قرن من الزمان.

2-4- موقف السارد من مسروده:

لما كان الأنطاكي ساردا جوانيا متماهيا، عاش فعل الرحلة، فقد كان شاهدا حاضرا على جميع أحداثها، فى المحمرة والكويت، وما بينهما، كما كان صادق العاطفة، شديد التأثير بالمواقف التى عاشها، وكان شاهدا عليها، ولاسيما عند إلقائه الشعر، أو عند لحظات الوداع؛ إذ اغرورقت عيناه بالدموع عند وداع الشيخ خزعل:

"لولا أنك سائر بخدمة أخى المحترم لما سمحت لك بالذهاب فى مثل هذه السرعة. فشكرت وحمدت واغرورقت عيناي بالدموع، واستأذنت ووقفت أتلو منشدا:

لا تجزعى يوم النوى لفراقي فالنازلات كما علمت رفاقي
وتحملى صبرا على مضض النوى حتى يمن إلها بتلاقي"⁽⁶³⁾

كما بدا الأنطاكي ملتزما فكريا بمبادئه العربية القومية، بعد أن رأى ضعف العرب وفرقتهم:

"علم الناس أجمع في مشارق الأرض ومغاربها بأنى رجل عربى
أفتخر بجنسيتى العربية الشريفة... الجامعة القومية التى هى
أساس الجوامع وفيها قويت كلمة الإسلام... فى صدر التاريخ" (64).

وكان ملتزما أخلاقيا، صادقا بحبه للشيخ خزعل والشيخ مبارك الصباح،
مؤمنا واتقا بقيامهما بدورهما العربى فى الحفاظ على وحدة الأمة العربية وهويتها
القومية، مفتخرا بهما ملكيين عربيين:

"ونقتصر فى هذا الكتاب على سياحتنا بين الكويت والمحمرة،
لأن حاكمى هذين الصقعين... هما أقدر ملوك العرب جاها ومالا
وفضلا..." (65).

وجاء موقفه هذا بعد إحساسه بخيبة الأمل من فشل مشروع الجامعة الإسلامية:

"ورأى بعضهم أن ينهض الشرق بجامعة إسلامية، حيث تجتمع
كلمة المسلمين على العمل لسياسة أنفسهم بأنفسهم، وترقية
مجتمعهم، ثم ظهر أن هذا حلم من الأحلام" (66).

إن إحساسه بخيبة الأمل تلك، دفعه إلى اللجوء إلى الشيخين: خزعل ومبارك
الصباح أملا فى قيامهما بجمع شمل الأمة العربية، وإن ذلك اللجوء إليهما استدعى
قيامه بالرحلة إلى بلديهما، ومن ثم كان موقف الأنطاكى موقفا مبدئيا مبنيا على
قناعة بضرورة إحداث تأثير مباشر فى المسرود لهم، وكان الطريق إلى ذلك موقفه
من مسروده الذى غطى أيام/ محطات الرحلة كلها.

2 - المكون الثانى/ المسرود:

يعد المسرود/ الحكاية المكوّن الثانى من مكونات خطاب الرحلة، وينهض
السارد بتقديم ذلك المسرود، وبدونه لا يمكن للمسرود أن يُقَدِّم، كما لا بُدَّ له أن يقدم
لمسرود له، وفق تقنيات سردية، ليكتمل ذلك الخطاب.

2-1- استهلال السرد:

أعلن الأنطاكى بداية سرده بخلق صورة من الانفعال لدى المسرود له، لتشويقه
وتحفيزه لاستقبال السرد، ولاسيما أنه قادم إلى عالم مجهول، فهو لا يعرف المحمرة ولا
الكويت، وليس لديه صورة ذهنية مرئية سابقة عن المدينتين، كما أنه لم يلتق الشيخ
خزعل ولا الشيخ مباركا الصباح من قبل؛ يقول الأنطاكى عند قدومه المحمرة:

"وقفت الباخرة أمام المحمرة" (67).

وبهذه العبارة يؤذن الأنطاكى بافتتاح السرد، وتشويق المسرود له، استعدادا
لاكتشاف المجهول، بعد دخول المدينة. وعند قدومه إلى الكويت، فى رحلته الثانية،
افتتح الأنطاكى سرده بقوله:

"ومازال اليخت يسعى بنا حثيثاً مدة خمس ساعات إلى أن أقبل بنا على الكويت، فأخذت أنظر إليهما عن بعد بالنظارة المعظمة..."⁽⁶⁸⁾.

إن عبارتي استهلال السرد هاتين، هيأتا المسرود له لاستقبال سرد، ودخول عالم المجهول لاستكشافه. ثم نهض الأنطاكي لبدء السرد بأكثر من صيغة: السرد، والوصف والحوار⁽⁶⁹⁾.

2-2- سرد الأفعال:

يعد سرد أفعال الرحلة أحد صيغ خطاب الحكاية في الرحلة، ومن خلاله استطاع الأنطاكي الربط بين أفعال الرحلة بالانتقال من مكان إلى آخر، ومن حدث إلى آخر أو الانتقال من موقع إلى آخر، في البنية السردية الصغرى/ أيام الرحلة/ محطاتها، التي يكون مجموعها البنية السردية الكبرى للرحلة، وبذلك أحكم الأنطاكي سيطرته على خطاب الحكاية من أوله إلى آخره، ليؤدي وظيفته باقتدار.

وإذا كان هناك السرد السابق والسرد اللاحق في الرواية، انطلاقاً من الفعل، فإن سرد الرحلة لصيق بالزمن؛ أي سرد الحدث زمن وقوعه، لا قبله ولا بعده. وإذا كان السارد الروائي الحقيقي يتحول إلى سارد ضمنى فإن سارد الرحلة لا يمكن له إلا أن يكون حقيقياً حاضراً لا يغيب، وهكذا كان الأنطاكي ساردا لأفعال الرحلة بنفسه لا ضمنياً، يسرد ما حدث له، أو ما حدث حوله، وكان شاهداً عليه. كما أن المقام السردى قد تحقق لاستخدام الأنطاكي ضمير المتكلم والأفعال بصيغة الماضي، ومثال ذلك قوله:

"ثم ودعتُ الطبيب، ووعدته أن أزوره في المحمرة، ودخلتُ غرفتي، فأمرتُ خادمي أن يعمر الشيشة، وجلستُ فنظمتُ قصيدة في مدح سمو الشيخ مبارك، ثم نظرتُ إلى الساعة"⁽⁷⁰⁾.

ويتداخل السرد مع الوصف تداخلاً كبيراً، يصعب الفصل بينهما، فلا سرد بدون وصف، غير أن السرد أصل والوصف تابع له في خطاب الرحلة.

يقول الأنطاكي في سرد تجواله في "اليخت" المظفرى للشيخ خزعل:

"فسار بي الدليل من اليخت المباركى إلى البلم الملوكى، حيث جعل المقفون يقفون، فبلغتُ اليخت المظفرى... ولما دخلتُ اليخت وجدته على غاية في الانتظام، على شكل شرقى، فسار بي الدليل إلى غرفة واسعة مفروشة بالطنافس الفاخرة العجمية، وفيها الكراسى المعتبرة، وفي صدرها خزانة جوزية من شغل الهند الدقيق، وفوقها مرآة كبرى، والشماعدين، وغير ذلك من فاخر الأواني والتحف"⁽⁷¹⁾.

وهكذا يتداخل السرد بالوصف تداخلا فنيا، يقوم به الأنطاكى، ليؤدى وظيفته فى رسم صورة هى أقرب إلى الواقع المشاهد فى متخيل المسرود له.

ولا يقتصر السرد على الأفعال الماضية، بل يلجأ الأنطاكى إلى استخدام المضارع أيضا، ففى لقائه بالشيخ جابر مبارك الصباح مزج بين الأفعال الماضية والمضارعة فى وصف مجلسه:

"وهو فى الدور الأول من السراى فى إيوان كبير، يتصدر فيه، ويلتف من حوله كبراء الإمارة وأهل الاستشارة، ويؤمه نوو الحاجات من الجماعات، فلما دخلتُ على سموه تنازل فوقف وهو يقول مرحبا مرحبا..." (72).

كما لجأ الأنطاكى إلى استخدام الفعل بصيغة المستقبل؛ كقوله قبل لقائه الشيخ خزعل: "معز السلطنة من رجال العصر المتتورين العاملين على رقى وعمران البلاد... مما سنفضله للقاء فيما بعد" (73).

وكقوله:

"قمنذ 21 يوما كنت متوجها من مسقط إلى البحرين على أمل أن أمكث فى البحرين أسبوعا، ثم أنقل فى الباخرة الثانية إلى الكويت..." (74).

وبذلك يشكل سرد الأفعال إطارا عاما للرحلة، يحفظ بنيتها السرديتين الصغرى والكبرى، ثم يأتى الوصف مكملًا للسرد، ليملا ذلك الإطار زخرفا، ثم يتبعه الحوار، لتكتمل الصورة فى متخيل المسرود له.

2-3- وصف الأحوال:

بعد وصف أحوال الرحلة أحد صيغ خطاب الحكاية فيها، ويأتى تاليا بعد السرد. وإذا كان السرد إطار الرحلة؛ فإن الوصف هو اللوحات المضيئة فى هذا الإطار. والوصف هو "تمثيل الأشياء أو الحالات أو المواقف أو الأحداث فى وجودها ووظيفتها مكانيا لا زمانيا" (75).

ويقوم المتكلم/ السارد/ الأنطاكى بالوصف؛ إذ يتوقف السرد، ويتحول الأنطاكى واصفا، ليؤدى وظيفة فنية من خلال تقديم ذلك الوصف؛ إذ إن الوصف "ضرب من التوسعة الزخرفية حيث تبرز صنعة الكاتب الأسلوبية" (76).

ولعل أهم وظيفة للوصف هى محاولة السارد/ الواصف نقل صورة ما رآه إلى متخيل المسرود له، نقلا حيا دقيقا، كلما أمكن له ذلك. ولقد اعتمد الأنطاكى على عدة أشكال للوصف أهمها:

2-3-1- الوصف البلاغي:

وهو وصف مختصر، قصير، يتم باستخدام إحدى الصور البلاغية، كالتشبيه أو الاستعارة مثلا. واستخدمه السارد/ الواصف/ الأنطاكي كثيرا؛ مثل قوله يصف امرأة:

"... ذات عينين سوداوين جذابتين يتوسطهما أنف كالسيف"⁽⁷⁷⁾.

وكقوله يصف شوقه للقاء الشيخ مبارك الصباح:

"... نعم إنَّ من كان مثلي مخلصا عاشقا لسمو مولاي...

لأعجب إذا استغزه الشوق للقاءه..."⁽⁷⁸⁾.

2-3-2- الوصف التعريفي:

وهو أطول من سابقة، ويُخصَّص لوصف جانب مهم لشخصية، أو لمكان، أو شيء؛ كقول الأنطاكي واصفا الميرزا عبد المجيد خان، كاتم أسرار ولي عهد المحمرة:

"... وهو شاب في نحو الثلاثين من عمره، أديب خبير في الشؤون العمرانية والإدارية، زار مصر وأوربا أكثر من مرة..."⁽⁷⁹⁾.

وكقوله في وصف الشيخ ناصر مبارك الصباح:

"... في نحو الخامسة والعشرين من عمره، فقد بصره بقضاء

الله وقدره مذ كان في الخامسة من عمره..."⁽⁸⁰⁾.

2-3-3- الوصف المطول:

وهو وصف مطول، يبلغ صفحات، لمدينة أو لشخصية. ولقد استخدم الأنطاكي هذا النوع من الوصف لوصف مدينتي: المحمرة والكويت، ولوصف الشيخين: خزل ومبارك الصباح. ففي وصفه لمدينة المحمرة نجده يطيل كثيرا، نحو أربع صفحات، في وصف المدينة، من عدة نواح، ووضع عنوانات للموصوف نحو: "التجوال في المدينة"، "أسواق المدينة"، "الأحكام في المحمرة"، "الأمان في المدينة"، "العلم في مدينة المحمرة"، "الأذان"، "جوامع المدينة"، وتحت كل عنوان مضى واصفا، محاولا نقل صورة ما أمامه إلى المسرود له: فتحت عنوان: "التجوال في مدينة المحمرة" يقول:

"إن مدينة المحمرة قائمة على الضفة الفارسية من شط العرب، وسكان نفس مدينة المحمرة يبلغون الثلاثين ألفا، وأكثرهم مسلمون، وأكثر مسلمي المحمرة من الشيعة، وفيها القليل من أهل السنة. في المدينة بعض اليهود وبعض النصارى، وهم تجار وصناع، ومع المسلمين على أتم وفاق..."⁽⁸¹⁾.

وتحت عنوان: "أهم بنايات المدينة" قال:

"سار بنا الميرزا عبد المجيد في الشارع الخزعلي، وهو شارع مستطيل على شط العراق، يبلغ عرضه نحو ثلاثين متراً، ومرصوص أجمل رص، ومنار بالأنوار الكازية، وقد أقام عليه سمو مولانا معظم بنايات جميلة حجرية، ذات ثلاثة أدوار، يؤجرها لأغنياء المدينة، بأسعار متهاودة، والجلوس في شرفات هذه البنايات يستقبلها شط العرب الشهير على جماله، وتسير به المراكب والبواخر والبلاليم بلا انقطاع، مما يروق الناظر، ويسر خاطر..."⁽⁸²⁾.

وتحت عنوان: "أسواق المدينة" مضى الأنطاكي واصفاً:

"ثم دخل بنا أسواق المدينة، فإذا هي متسقة ومبنية الدكاكين فيها على طراز هندسي واحد جميل، بناها مولانا المعز أبقاه الله، وسموه يؤجرها للتجار والباعة بأسعار متهاودة. فمررنا بهذه الأسواق المفروشة بالبلاط، فإذا هي مقسمة: فما هو للتجارة وما هو للبياعين وما هو للبقالين وما هو للصناع... إلخ إلخ. ثم دخل بنا إلى عدة خانات (وكالات) لكبار التجار الذين يتاجرون بالمحصولات والمنسوجات بالجملة، ثم سار بنا إلى سوق الخضار..."⁽⁸³⁾.

ثم مضى واصفاً الأحكام والأمان والعلم والأذان في المدينة، وانتهى بوصف جوامعها:

"وقد تجولت حول جوامع المدينة ومساجدها وتبلغ العشرة، فإذا هي حسنة البناء، وبعضها قد شيد على نفقة سكان الجنان الشيخ جابر خان..."⁽⁸⁴⁾.

وبذلك استطاع الأنطاكي، فيما أرى، أن ينقل للمسرد له صورة لمدينة المحمرة، كان قد رآها بعينه، وهي أشبه ما تكون بالصورة السينمائية الملونة، ليحفظ صورة تلك المدينة التي تغيرت اليوم، في متخيل المسرد له/ القارئ في كل زمان.

ثم خصص الأنطاكي الرسالة السابعة عشرة والرسالة الثامنة عشرة لوصف الكويت، من خلال جولة اصطحبه فيها مندوب الشيخ مبارك الصباح، ولطول الوصف، جعله الأنطاكي تحت عناوات كثيرة، وكان أولها: "وصف القصر المبارك":

"... فشاده على الطراز العربي البحت، فقسمة إلى قسمين: جعل

أحدهما للحرم المصون، والآخر للضيوف، أما قسم الحرم فلم أدخله... إنما وصفه لى أحد أغوات الحرم فقال: إن قسم الحرم أرحب من قسم الضيوف، وإن هناك الإيوانات الواسعة، والأحواض التى تتدفق منها المياه، والجنائن الغناء، والأثاثات الفاخرة...، أما القسم الخارجى فقد تجولته، وهناك ما أستطيع وصفه: تتألف السراى العلية من طابقين: طابق أول أو أرضى، وفيه عدة دوائر: أولها دائرة الحرس الملوكى حيث تقيم الجنود، وهى عبارة عن غرف نظيفة مملوء جدرانها بالأسلحة، ثم يليها دائرة أشغال الإمارة، وهى عبارة عن ثلاث غرف: إحداها غرفة الباشكاتب، أو كاتم الأسرار، وهو حضرة الأديب الفاضل عزتو عبد العزيز أفندى سالم...، ثم تلى هذه الدائرة دائرة مجلس سمو مولانا الشيخ جابر مبارك الصباح... وهذه الدائرة مختلفة محدقة بفسحة كبرى هى فناء السراى العامرة، وطرفها إسطنبول عظيم للخيل النجدية... أما الدور العالى فيصعد إليه بنحو ثلاثين سلمة... وهو يقسم إلى دوائر عديدة: فيها دائرة التشرىفات الكبرى، وهى عبارة عن صاعة واسعة مفروشة بالكتبات على الطراز الإفرنجى، من صنع الهند، وممدودة فى أرضها الطنافس العجمية الفاخرة، وفى صدرها رسم كبير لسمو مولانا... وبجوار هذه الصاعة مجلس لسمو مولانا الأمير المعظم... وهذه السراى الجميلة العظيمة مبنية على البحر، وتشرف عليه من كل نوافذها، وأمامها تماما يرسو اليخت المباركى العالى، هذا قليل مما أصف به هذه السراى الفخيمة... (85).

وتحت عنوان: "مدينة الكويت" مهد الأنطاكي لوصفها قائلا:

"تجولنا فى المدينة مدة ثلاث ساعات... وكان ذلك على متن الجواد ومعى دليل يهدينى إلى كل ما أسأله عنه" (86).

ويأتى تحت عنوان: "شكل المدينة" وصفه لها بقوله:

"إن المدينة مبنية على الطراز العربى، زشوارها ضيقة، وهى على شكل مستطيل... (87).

وتحت عنوان: "تربة الكويت" قال واصفا:

"أما تربة الكويت فمخصبة جدا على ما هو مشهور... إلا أن المياه الجارية قليلة هناك، لذلك تتوقف الزراعة على الأمطار... (88).

ثم مضى بعد ذلك، ووصف الأمان بالكويت، وعدل الشيخ مبارك الصباح، وحُكمه، ووصف الحركة العلمية، حتى وصل إلى ملابس الكويتيين فقال تحت عنوان: "آداب الكويتيين وملابسهم":

"أما آداب الكويتيين وملابسهم فهي عربية... كيف لا وهم نجديون من صميم العرب، ومن الغريب أني كنت أتجول في المدينة والناس ترحب بي يمينا وشمالا..." (89).

وتحت عنوان: "دار الضيافة" قال واصفا:

"... وهي على بعد خطوات من السراي المباركية العامرة، وهذه الدار وسبعة جدا، وفيها غرف عديدة واسعة، حسنة الرياش، وقد شبهتها بحانات حلب والشام، على أنها أوسع..." (90).

ولقد اعتمد الأنطاكي، في الوصف المطول، على تقنية سردية أساسها تقطيع الوصف إلى أجزاء، تحت عنوان مستقل مثل: "أهم بنايات المدينة" و"أسواق المدينة" و"جوامع المدينة" عند وصفه لمدينة المحمرة، وعندما وصف مدينة الكويت استخدم التقنية السردية نفسها، وعند جمع أجزاء الوصف يتكون الوصف المتكامل للمدينة، بما فيها، في متخيل المسرود له.

كما استخدم الوصف المطول لوصف شخصيتي الشيخ خزعل والشيخ مبارك الصباح. وكان واعيا لمهمته، عارفا وظيفته السردية من خلال الوصف؛ إذ يقول:

"أن لي على ما أرى أن أصور بقلمى لقراء جريئتي العمران الأكارم سمو سيدي ومولاي معز السلطنة سردار أرفع الشيخ خزعل خان..." (91).

ولما كان الوصف طويلا فقد لجأ الأنطاكي إلى تقنيته السابقة، في تقسيم الوصف، وجعله تحت عنوانات، بدأها بعنوان: "سمو مولانا المعز":

"... فسمو مولاي المعز أعزه الله وأبقاه كهل في الخامسة والأربعين من عمره الزاهر، وفي السنة الخامسة عشرة لإمارته خلدها الله" (92).

ثم تلاه بعنوان آخر: "ملاح سموه":

"... وسموه أعزه الله وأبقاه ربعة في القوام، مملوء الجسم، أبيض البشرة، أسود الشعر، مستدير الوجه، أقنى الأنف، كث اللحية، يقصها فلا يتركها تستطيل، ذو عيني سوداوين، جذابتين، بشوش الوجه، لا يكاد يقع نظرك عليه إلا وتلقاه ضاحكا مبتسما..." (93).

ثم وصف أخلاقه شعرا تحت عنوان: "أخلاق سموه":

"عزمٌ وحزمٌ مع سياسةٍ قادر

وبشاشةٍ ومكارمٌ وجلالُ

هذي صفاتُ مليكنا السامي الذري

وبه وحقق تضرب الأمثال" (94)

وتحت عنوان: "معارف سموه" قال الأنطاكي:

"الفيلسوف الحكيم... هذا كتابه المسمى بالخزعليات، وهو الكتاب الذي حوى من غرر الحكم ودرر النصائح... وهو مطبوع في مصر... وسموه يحسن من اللغات العربية بفروعها كالصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع والعروض، وهو متشرع بالشرع المحمدي الأنور، وقانوني عليم بالقوانين الموضوعية، وفوق ذلك هو عليم بالجغرافيا والتاريخ، ولا سيما التاريخ الإسلامي والحساب. ويحسن من اللغات الفارسية والتركية... وله إلمام بالإنجليزية..." (95).

ثم وصف مجلسه تحت عنوان: "مجالس سموه".

"أما مجالس سموه فهي على الغالب بين العلماء والشعراء والأدباء يذاكرهم بكل فن ومطلب... حتى إذا خلا من المجاليس والأدباء غاص بين المحابر والأقلام... وهو ساهر على شئون ملكه، وتعميم الراحة والأمان في بلاده..." (96).

وتحت عنوان: "كرم سموه" قال الأنطاكي:

"كريم إذا أعطى العفاة كفاهمو

أذى العدم والإملاق والذل والفقر

يجود بثغر باسم وبشاشةٍ

ويعطى ألوف الدر في كامل البشر" (97)

ثم وصف برنامج الشيخ خزعل اليومي تحت عنوان: "معيشة سموه":

"وقد رتب سمو الشيخ خزعل أعزه الله أعماله على حسب الساعات... فسموه ينهض باكرا جدا على صوت المؤذن في الصباح، فينهض أولا إلى صلاة الفجر، ثم يتناول طعام الفطور، وبعد ذلك يذهب إلى دست الإمارة... ويجلس هناك إلى الظهر ناظرا في شئون العباد... وعند الظهر يعود... فيصلي ثم يتناول

طعام الغداء، ثم يأخذ قسطاً من الراحة، وبعد ذلك يجلس إلى مكتبه والكتاب من حوله... إلى أن ينادى المؤذن بصلاة العصر فينهض إلى الصلاة فيصلي بخشوع، ثم يتناول طعام العشاء مع ضيوفه... وبعد ذلك يجلس للعلم والأدب والشعر... ويظل كذلك إلى نحو منتصف الليل... «(98).

ثم وصف الأنطاكي الشيخ مباركا الصباح في الرسالة الثانية والعشرين، مبتدئاً وصفه بما بدأه عند وصف الشيخ خزعل:

"خطر لي بعد كل ما قدمت عن زيارتي للكويت المحمية أن أصور بقلمي معاني سمو مولاي الشيخ المبارك... «(99).

غير أن وصفه جاء هنا من غير عنوان:

"إن سمو الشيخ أعزه الله طويل القامة، رقيق الجسم، مفتول الساعدين، أسود الشعر، ذو عينين سوداوين جذابتين، تنبعث منهما أنوار الذكاء والدهاء، ولحيته سوداء قصيرة خفيفة، وفي جبينه أثر ضربة سيف... والناظر إلى سموه لا يقدر أنه بأكثر من الحلقة الخامسة من عمره لما يراه من نشاطه... «(100).

ثم تابع الأنطاكي وصف جوانب كثيرة في شخصية الشيخ مبارك الصباح، بدون عناوانات:

"وسموه يميل إلى الجد... وهو يفكر كثيرا، ويتكلم قليلا، ويصغي لمحدثيه... وهو حاضر الذاكرة...، وأما حجته في الجدل فقية يفحم بها مجادليه...، أما حزمه فمما يززع الجبال الراسيات... أما عزيمته فلا تقاوم...، أما بُعد مواقع نظره فيخترق حجاب الغيب... «(101).

2-3-4- الوصف بالنفي:

وهو وصف لتعظيم الموصوف بصفة فيه، وذلك بنفي الصفة نفسها عن الآخر المثل له. ولقد وصف الأنطاكي نصرة الملك/ ولي عهد المحمرة بقوله:

"... عليه من سيماء الرصانة ودلائل الحنكة والاختبار ما لا يكاد يكون في الشيوخ... «(102).

ويأخذ الوصف بالنفي شكلا آخر؛ إذ ينفي صفة سيئة عن الموصوف ليثبت صفة حسنة فيه؛ كقوله يصف حجة الشيخ مبارك الصباح القوية في الجدل:

"وأما حجته في الجدل فقوية... إلا أنه غير مستاء بالرأى ولا مستبد..."(103).

2-3-5- الوصف بالمقارنة:

وهو أن يصف شيئاً مقارنة مع شيء آخر شبيه له. كما في قوله عند المقارنة بين الماء الحلو والماء المالح في النقطة الفاصلة بين شط العرب والخليج العربي:

"من أجمل ما رأيته العيون ملتقى البحرين المالح والحلو، بحيث يرى الراكب في الباخرة سطح الماء المتمواج موصولاً، فمن هنا الزرقة ومن هنا الحمار الكاشف، والأغرب من ذلك أن تدلى بدلوك هنا فيخرج لك الماء الأجاج المالح وتدلى هناك فيخرج لك الماء العذب الفرات، فيا سبحان الله"(104).

2-3-6- الوصف النفسي:

وهو وصف ما تتركه الأقوال والأفعال من انفعالات نفسية لدى الآخر، كقول الأنطاكي يصف وقع ملاطفة الشيخ مبارك الصباح والشيخ خزعل عليه قبل إنشاده قصيدته الخزعلية:

"وبعد أن سکن الشيخان حفظهما الله روعى بحسن تلطفهما استأذنت إنشاد قصيدتي الخزعلية..."(105).

وكقوله يصف حالته النفسية بعد نزهة على شاطئ البحر في الكويت تلتها نومة هانئة:

"أصبحت صباح يوم الأربعاء قرير العين مسرور الخاطر أتجول على سطح السراى المباركية..."(106).

ولقد أدى الأنطاكي وظيفته السردية/ الوصفية من خلال استخدامه الأمثل لأشكال الوصف المختلفة، فعندما يكون السرد متدفقا يلجأ الأنطاكي إلى الوصف البلاغي السريع بالاعتماد على التشبيه أو الاستعارة، ليعطي زخرفاً جميلاً للموصوف، وليقرب الصورة للمسروود له/ الموصوف له.

أما عندما يأتي إلى سرد أفعال الشخصية، في زمن معين قصير، فإنه يلجأ إلى الوصف التعريفي القصير للشخصية، ليساعد المسروود له/ الموصوف له على معرفة سريعة ومختصرة عن تلك الشخصية، لتهينته لاستقبال سرد فعل لها، دون توقف الزمن السردى كثيراً، ليستأنف سرده، بعد ذلك الوصف.

أما عندما أتى الأنطاكي إلى أبرز شخصيتين في الرحلة: الشيخ خزعل والشيخ مبارك الصباح، فإنه لجأ إلى الوصف المطول، الذي تجاوز أربع صفحات، فلقاؤه بهما

هو أسمى هدف له في تلك الرحلة، فلا بُدَّ من توقف زمن السرد للتفرغ إلى الوصف الدقيق لملامح تلك الشخصية وصفاتها الخلقية والأخلاقية والسياسية وغيرها. وكذلك كان الوصف مطولا عند وصف مدينتي المحمرة والكويت، فهما هدف أسمى آخر للأنطاكى، لتعرّف هاتين المدينتين العزيزتين إلى قلبه، ونقل صورتيهما إلى المسرود لهم/ قرائه في "العرمان" وغيرهم، وهى أمنية طالما تمنّاها، ولما كانت المدينتان كبيرتين، من حيث القصور والبيوت والسكان والمباني السكنية والمساجد والأسواق... وغيرها، فلا بد من توقف الزمن ليمضى الأنطاكى ناقلا/ واصفا للمسرد له صورة حية ملونة للموصوف/ المدينتين، بشكل حفظ للمسرد لهم، بعد أكثر من مائة عام، صورة صادقة عن حال المدينتين. ولما كان الوصف طويلا فقد لجأ الأنطاكى إلى تقسيمه إلى أجزاء، تحت عنوانات أو فقرات مختلفة، وبذلك أدى الوصف المطول وظيفته التاريخية، فى زمن لم تكن فيه كاميرات سينمائية لدى الشيوخ: خزعل ومبارك الصباح، فيما يبدو، عندما نقل صورة عن المدينتين عن طريق الوصف، كما حقق الوصف وظيفته المعلوماتية فى تقديم معلومات عن شخصيتي الشيوخ: خزعل ومبارك الصباح، من حيث بيان جدول أعمالهما اليومي وطبائعهما، وحياتهما الخاصة. ولاشك فى أن الوصف أدى دورا كبيرا فى إبراز الجوانب الجمالية السردية فى تحقيق متعة السرد وجمال الحكى.

أما الوصف بالنفى فقد استخدمه الأنطاكى بنجاح أيضا ليحقق هدفه فى تعظيم الشخصية الموصوفة، بنفى الصفة ذاتها عن نظراء الشيوخ، ولم يخف الأنطاكى إعجابه الشديد وإكباره للشيوخ: خزعل ومبارك الصباح وأنجالهما؛ لذا فإن تعمد نفي الصفات الجيدة عن نظرائهما وإثباتها لهما كان غاية قصده.

أما الوصف بالمقارنة فقد استخدمه الأنطاكى ليظهر جمال الموصوفين معا؛ لأن "الضد يظهر حسنه الضد"، وليبين من خلاله إعجابه الشديد بالموصوف.

وأما الوصف النفسى فقد لجأ إليه ليبين أثر بعض الأقوال والأفعال فى نفسه، ولقد ساعد ذلك المسرود له/ الموصوف له على تخيل الموقف، وحسن استقباله، كما ساعده على معرفة علاقة الأنطاكى مع الموقف نفسه.

ويعتمد الوصف، بشكل عام، على المسافة بين السارد/ الواصف/ الأنطاكى والموصوف، فكلما كانت قصيرة كان الوصف أكثر دقة والموصوف أكثر وضوحا، أما عندما يكون الأنطاكى بعيدا عن الموصوف فيكون الوصف عاما، دون تفاصيل؛ كقوله:

"سار بنا البلم بذلك البطء من الجانب العثماني فأصبحت المحمرة أمامنا ننظر إليها من بُعد، فوجدنا فيها القصور الشاهقة والبنائات المنتظمة..." (107).

أما عندما يكون قريبا من موصوفه فإنه يستطيع أن ينقل له صورة شديدة الوضوح كقوله.

"تمّ رأيت أمامي القصر الملوكي، وأمامه رأيت يختا عظيما يحمل العلمين العثماني والإيراني، ومكتوبا عليه بحروف جميلة عربية هذه الكلمات (يخت الشيخ مبارك الصباح)" (108).

وهكذا أدى الوصف وظيفته الفنية في تليظ فعل الرحلة، في إطار السرد، ويدخل الحوار في ذات الإطار ليكمل صيغ خطاب الحكاية في الرحلة.

2-4- الحوار:

يعد الحوار صيغة الخطاب الثالثة، بعد السرد والوصف، في الرحلة.

والحوار هو: "تمثيل للتبادل الشفهي، وهذا التمثيل يفترض عرض كلام الشخصيات بحرفيته..." (109).

ولما كان سارد الرحلة حقيقيا، لا ضمنيا، كما في الرواية مثلا، فقد أصبحت عملية تنظيم الحوار أحد مهامه الأساسية. وهو بذلك لا يؤلف حوارا بل ينقل، إلى المسرود له، حوارا بعد إعادة إنتاجه/ صياغته، كما كان، قدر المستطاع. إن مهمة الأنطاكي الصعبة في قدرته على نقل الخطاب بوساطة صيغه الثلاث: السرد والوصف والحوار، تتطلب منه مهارة عالية في إحداث التوازن والتآلف، باستخدام تلك الصيغ، لتقديم صورة إلى متخيل المسرود له، أقرب إلى الواقع الذي عاشه. والحوار يتطلب طرفين متحاورين، ونصا/ مادة الحوار/ موضوعه، في إطار السرد العام للرحلة، وبذلك يقوم الأنطاكي بنقل ذلك الحوار/ المسرود، إلى ذات المسرود له في الرحلة، مع الوصف، لتكتمل الصورة المتخيلة للرحلة في متخيله السرد.

لذا لا بُدّ للسارد أن يعرف المسرود له، في تلك اللحظة من السرد، ليقدم له حوارا يؤدي وظيفة، ويخدم غرضا. وهذا يتطلب تحديد هيئة المتحاورين، ومكانهما، وزمن الحوار، لغة الحوار، كما كانت.

والمحاور في سرد الرحلة يسعى إلى التكامل مع محاوره لإكمال صورة المسرود لدى المسرود له، وليس إحراجة، أو بيان ضعفه، أو التغلب عليه كما في المناظرات مثلا (110). ولقد كان الأنطاكي واعيا كل ذلك، واتخذ الحوار عنده أطوالا وأشكالا مختلفة.

اعتمد الأنطاكي على الحوار في "الرياض الزهرة" بأطوال مختلفة، ولم يحرص على نقل حوار بين شخصيتين خارجيتين، قدر حرصه على أن يكون إحدى تلك الشخصيتين، فكان حوار، غالبا، مع الشيخ خزعل، وهو قليل، ومع

الشيخ مبارك الصباح، وهو كثير، وآخرين. منه ذلك الحوار القصير بين الأنطاكي والشيخ خزعل لحظة السفر من المحمرة إلى الكويت:

"ثم تلتطف بي سمو سيدي وولى نعمتى المعز معظم وتنازل بالتفاته إلى وقال: لولا أنك سائر بخدمة سمو أخى المحترم لما سمحت لك بالذهاب فى مثل هذه السرعة. فشكرت وحمدت، وقد اغرورقت عيناي بالدموع..." (111).

وبدا واضحا أن الحوار جاء فى إطار السرد، متداخلا مع الوصف، لبيان صورة لحظة الوداع، بكل أجوائها الحزينة، إلى متخيل المسرود له.

أما عندما أراد الأنطاكي أن يتعرف رأى الشيخ مبارك الصباح فى السياسة، وموقفه من الدولة العثمانية فكان الحوار طويلا ومباشرا:

"مولاي تعلم إخلاصى لسادتى ملوك العرب وأمرائهم، وتعصبى للعرب، فهل لك أن تجود على بما أجهل من حوادثهم! قال: اسأل ما تشاء فإننى أجيبك... قلت: ما هو السر فى هذه الحروب الدائمة فى بلاد العرب؟ قال: ليس فى هذه الحروب سر بل أمرها مشهور. قلت: وكيف ذلك؟ قال..." (112).

ويطول الحوار، ويبين الشيخ مبارك موقفه من الدولة العثمانية، إلى حوالى أربع صفحات: وقد يكون الجانب الأكبر من الحوار شعرا، كقول الأنطاكي:

"وبعد أن استقر بنا المقام ودارت علينا القهوة العربية، تفضل سمو سيدي... الشيخ مبارك الصباح وسألنى قائلا: لقد رأيتك تكتب فى النهار فأسمعنا الذى كتبت. فأخرجت أوراقا... وقلت مخاطبا الباخرة التى تمخر بنا فى ذلك الشط:
بى ما بقلبك من سعير النار

فلم اهتزأرك هل من الأغيار" (113)

والقصيدة تقع فى خمسة وسبعين بيتا، ولاشك فى أن هذا الحوار، وطول هذه القصيدة، جاء لينقل للمسرد له، الأجواء النفسية للأنطاكي، وقد ذكرته هذه الرحلة بالحبيبة، وعناء البعد عنها، على الرغم من أنه اختتمها بمدح الشيخ خزعل والشيخ مبارك الصباح.

كما أنّ حب الأنطاكي للشيخ ناصر مبارك الصباح، وإعجابه به، وتأثره لفقدانه بصره، منذ أن كان فى الخامسة من عمره، جعله يجرى معه حوارا مطولا، جاء فى حوالى ثلاث صفحات:

"... ولما شاهدته تأثرت جدا وخففت إليه... ثم أخذ يسألني عن أحوال مصر ويذاكرني... فأنستُ بسموه كثيرا، وعجبت بأدبه أكثر، فارتجلت بين يديه هذه الأبيات:

أناصر فيك الدين قد بات منتصرا

ومنك الندى والجود والبر منتظرُ

وفيك نوادي العلم تزهو وتزدهر

ألست لها ابن الاكارم منذخِرُ

وأنت لها الحامي إذا خانها القدر... "(114).

وكان الأنطاكي ظريفا أدبيا؛ لذا حرص على أن يعيش أجواء الرحلة البحرية، والاستمتاع بالسهر ليلا؛ لذا فقد اختتم أكثر وحداته السردية الصغرى/ رسائله بما أسماه "سهرة الليل" أو "سهرة المساء"، ويبدو أن لتلك السهرات أدبا، فهي مجالس أمراء وشيوخ؛ لذا فالأنطاكي لا يدخن "الشيشة" في أثناء السهرة بل بعدها:

"ثم جلسنا للسهرة، فدار الحديث الأدبي والتاريخي والفكاهي كذلك إلى ما بعد الهزيع الأول من الليل، حيث عدنا إلى البيحت المظفري بمعية سمو مولاي المعز، حفظه الله، وهنا اختلبت في حجرتي، وملأت المدعة الشيشة، وجلست لتحريير هذه الرسالة..." (115).

والحوار، مثل الوصف، له وظائف فنية عدة، أهمها تنوع استخدام الأفعال في لغة الخطاب، فإذا كان السرد يعتمد على استخدام الأفعال بالزمن الماضي الموصول بالحاضر، فإن الحوار يتطلب استخدام زمن الفعل المضارع؛ إذ يتوقف الزمن السردى لبدء الحوار داخل السرد، ليحقق وظائفه مع الوصف، فتكتمل صيغ خطاب الرحلة، وتتحقق الغاية في نقل صورة أفعال الرحلة ملفظة إلى متخيل المسرود له. ولا شك في أن التنوع في استخدام الأفعال، من حيث زمانها، في الانتقال من السرد إلى الحوار، يجعل لغة الخطاب أكثر حيوية وجمالا لتشويق المسرود له لاستقبال سرد الرحلة. كما أن الانتقال من السرد، على لسان السارد وحده، إلى الحوار، على لسان السارد/ المحاور ومحاوره، يكسر من احتكار السارد قليلا، في أجزاء سهلة من الخطاب، ويشكل تنوعا في مصادر الإرسال السردى إلى المسرود له، حتى لا يمل، فإن ملل المسرود له، أحد مكونات خطاب الرحلة، من شأنه أن يجهض العملية السردية برمتها. ولما كان سرد الرحلة محاولة لنقل صورة أقرب إلى الواقع لمتخيل المسرود له؛ فإن الحوار من شأنه أن ينقل، للمسرد له، المستوى اللغوي للشخصيات المحاور للأنطاكي، لذا لاحظنا سهولة لغة الشيخ مبارك الصباح والشيخ خزعل في حوارهما مع الأنطاكي من ناحية، كما

لاحظنا سهولة لغة الأنطاكي في الحوار مع الشيخين مقارنة بلغته عند السرد، من ناحية أخرى. ولقد كان الحوار بين الأنطاكي والشيخ مبارك الصباح والشيخ خزعل والشيخ ناصر مبارك الصباح، وغيرهم، عفويا وتلقائيا وصادقا؛ وهو مما دفع الأنطاكي، في لحظات انفعال وصدق مع الذات إلى ارتجال القصائد الطوال الجديدة، أو تخميس أبيات، أو معارضة قصيدة، مثل قصيدته التي عارض بها قصيدة الشاعر الكويتي الحاج زين العابدين الكويتي، المطرزة، والتي مطلعها:

بدورُ السعدِ تشرقُ في سماها يضاهي النير الزاهي سناها
حكّت أنوارُها الفلكي يوحا تسامت في بروج لا تضاهي

فرد الأنطاكي معارضا بقصيدة طويلة، بلغت اثنين وأربعين بيتا، مطلعها:

أزين العابدين لرب طه بلغت من الفصاحة منتهاها
وخضت بحار منظوم اللآلي لتزدان المجالسُ في حلالها⁽¹¹⁶⁾

وإذا كان المسرود/ ملفوظ الرحلة قد بدأ بعبارة استهلال السرد، فإنه انتهى بعبارة نهاية السرد.

ففي نهاية الرحلة الأولى إلى المحمرة، وعند المغادرة إلى الكويت، انتهى السرد بقوله:

"وفي الساعة الثانية عربية من الصباح تحرك اليخت، وفي حال تحركه ضربت المدافع، وأطلقت البنادق، وصدحت الموسيقى..."⁽¹¹⁷⁾.

وفي نهاية رحلته إلى الكويت، وعند المغادرة، أنهى الأنطاكي سرده بقصيدة نهاية السرد، ومطلعها:

أتجزع للنوى قبل البعاد فكيف إذا حدث فيك الحوادي
وسرت من الديار ديار جمل إلى ما لا تحب من البوادي
عد إذا دموعك للمآقي وزفرات التشوق للفؤاد⁽¹¹⁸⁾

وبذلك أنهى السارد/ الأنطاكي سرده رحلته.

وما دام سرد الرحلة هو تلفيز لأفعالها، بواسطة صيغ الخطاب الثلاث: السرد والوصف والحوار، فلا بد من ألفاظ/ لغة على مستويين:

الأول: المستوى الرسمي

استخدم الأنطاكي اللغة العربية الفصحى بمستواها الرسمي، المعتمد على التزيين اللفظي، والمعتمد على السجع في النثر، وعلى الموسيقى الشعرية في الشعر. واتضح هذا المستوى اللغوي، أولا، في المقدمة النمطية للرحلة كقوله:

"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم يا مفتح الأبواب افتح لي خير باب. الحمد لله، الذي وفقنا إلى الصراط المستقيم، وسدد مساعيها في خدمة العرب، ذلك الشعب العظيم..." (119).

كما اتضح ثانياً في الخطب التي ألقاها الأنطاكي في المحمة أمام الشيخين خزل ومبارك الصباح والجمهور، والتي ألقاها بالكويت، أمام الشيخ مبارك الصباح والجمهور أيضاً، فكانت اللغة أشبه بلغة الخطاب التقليدية، من حيث جزالة المفردة، ومثانة التركيب، ونبرة الخطاب العالية، وما يتخلل ذلك من الاستشهاد بأبيات من الشعر، والاقتراس من القرآن الكريم، مثل "خطاب ارتجالي" الذي ألقاه في المحمة أمام الشيخين، وهو طويل، قرابة ست صفحات، منه:

"سيدي، علم الناس أجمع في مشارق الأرض ومغاربها بأني رجل عربي... إن العناية الإلهية مرافقتي في خطواتي، وما ذلك، ولا شك، إلا لحسن نيتي في خدمة الإسلام، وإنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى... الله في حكمه أسرار حارت بها الأفهام والأفكار..." (120).

ولقد كان الأنطاكي شاعراً؛ لذا فقد لجأ، ثالثاً، إلى لغة الشعر، حيث المحافظة على اللغة الفصحى المتينة، والأوزان الموسيقية الخيلية، وهي كثيرة عنده.

الثاني: المستوى السردى/ الحكائي

استخدم الأنطاكي، عند سرد مسروده، لغة أخرى، أشبه ما تكون بلغة الحياة اليومية المعيشة، بدون تكلف، أو سجع، مع المحافظة على قواعد النحو العربي، بأسلوب سهل، بدون تعقيد، كما مر. وتجاوز الأنطاكي هذا المستوى اللغوي السهل، إلى مستوى الواقع اللغوي آنذاك، الأقرب إلى العامية، ولاسيما، في الحوار على لسان بعض الشخصيات، أو عند النقل عنهم كقوله، على لسان الشيخ مبارك الصباح، عندما أحضر ابنه حمد القهوة حال هيجان البحر:

"يا حمد فقد عثبت نفسك بما فيه سروري، رغما عن هياج البحر فهات..." (121).

ونراه في بعض المواضع يستخدم ألفاظاً عامية، كانت مستخدمة في ذلك الزمان، في المنطقة مثل: اليخت/ السفينة، والشيشة/ لتدخين التبغ، والفلايكجية/ الملاحون، والبالطو/ المعطف، كما مر.

أما وقت سرد الرحلة/ تدوينها، فلم يكن في جلسة واحدة، كما هي الحال في غيرها من الأجناس الأدبية. فقد قسم السارد/ الأنطاكي سرده إلى وحدات سردية صغرى/ أيام الرحلة/ محطاتها، ثم دون تلك الوحدة، إما في مساء اليوم ذاته، وإما في صباح اليوم التالي مباشرة؛ كقوله بعد نهاية اليوم الأول:

"... ودخلت غرفتي... ثم نظرت إلى الساعة، فإذا هي الثالثة بعد منتصف الليل، فحاولت الرقود فلم أستطع، والشوق يقيمني ويقعدني، فجلست ثانية، وعلى صوت فرقعة المدعة؛ أرى الشيشة، كتبت رسالتي هذه للعمران، وأنا أقول مع القائل:

يا ليل ظل أو لا تطل لا بُد لي أن أسهرك...

الباخرة بومباي، في 18 من ذي القعدة سنة 1325هـ... عبد المسيح الأنطاكي⁽¹²²⁾.

لقد كان الأنطاكي مدركا ما يقوم به، فهو يسجل وحداثته السردية يوما بيوم، وبكل وعي تام بأنه يقوم بسردها لقراء جريدته "العمران"، مع الحرص على تسجيل مكان السرد، وتاريخه، وذكر اسمه.

1- المكون الثالث/ المسرود له:

يعد المسرود له المكون الثالث من مكونات خطاب الرحلة، ويؤدي دورا أساسيا في تكوين خطاب الرحلة، على الرغم من صمته. إن السرد يعتمد أساسا على سارد يسرد مسرودا إلى مسرود له، لذا فإن غياب المسرود له، الذي يقوم بوظيفة التلقي يعني إحداث خلل في العملية السردية، ومن ثم فهو موت السرد برمته. وإن ضرورة تأثير الأنطاكي في المسرود له يحتم وجود مسرود له، يتلقى السرد ويتأثر به، ولا ينتهي الأمر هنا بل يجب على المتلقي أن يحسن التلقي، كما أن حماس الأنطاكي في نقل جزئياتها، بوساطة السرد والوصف والحوار، للمسرد له، يوجب عليه حماسة مساوية لحماسة الأنطاكي، وهو ما يشجعه على الاستمرار، وإن فتور المسرود له في التلقي قد ينهي العملية السردية برمتها.

وإذا كان السارد الحقيقي في "الرياض المزهرة" هو الأنطاكي الحقيقي، فإن السارد الضمني هو الأنطاكي كما يراه القارئ. وكذا الحال مع المسرود له الحقيقي فهو كل من يسرد له، أما المسرود له الضمني فهو كل من يقرأ النص لاحقا ويتأثر به. وإذا كان سارد الرواية برانيا والمسرود له برانيا، أيضا فإن سارد الرحلة/ الأنطاكي كان جوانيا، وكان المسرود له برانيا.

وهناك فرق بين المسرود له والقارئ في خطاب الرحلة. فالمسرود له وهمي، يسمع الحكاية دفعة واحدة حال سردها، كما يرى السارد، في حين يقرأ القارئ الحقيقي الحكاية المسرودة كيفما شاء، قد يقرأها في جلسة واحدة أو في عدة جلسات، بعد سردها على المسرود له لاحقا⁽¹²³⁾. كما أن المسرود له يتماهى مع السارد، في حين لا يتماهى القارئ مع السارد⁽¹²⁴⁾. فإذا كان من الواجب على

المسرود له أن يتماهى مع السارد، فإن القارئ بعد مائة عام، ربما لا يتماهى مع السارد. وقد يكون المسرود له واحداً، وقد يكون أكثر من واحد، وكذا القارئ. وفي الحوار يحدث تبادل أدوار بين السارد والمسرود له، فهو حوار داخل السرد، ويؤدّي المتحاوران دور السارد والمسرود له في عملية تبادل أدوار، كما حدث في أثناء الحوار بين الأنطاكي والشيخ خزعل، أو معه والشيخ مبارك الصباح، أو معه والشيخ ناصر مبارك الصباح. كما أنه من الممكن للقارئ إعادة فهم المسرود، بخلاف مراد الأنطاكي، فقد يعيد أحد أهل المحمرة، وقد انتهت دولتهم الآن، أو أحد أبناء الكويت اليوم، فهم بعض المسرود آنذاك.

الخاتمة:

على الرغم من قدم الرحلة التي قام بها الإنسان منذ القدم؛ فإن الدراسات الأدبية الحديثة للرحلة لم تستقر على تعريف واحد لها. وحاولت هذه الدراسة تقديم تعريف لها، كان مفتاحه دراسة سعيد يقطين "خطاب الرحلة..." المركزة. ولم تتناول هذه الدراسة الرحلة من جوانبها التاريخية أو الاجتماعية، بل ركزت على دراسة خطاب الرحلة، وفحص مكونات ذلك الخطاب، لحسان سرد الرحلة، لا فعلها، جنسا أدبيا.

وقد تبين أن أبرز مكونات خطاب الرحلة هو السارد أولاً، الذي احتكر الرحلة فعلاً وخطاباً، وكان المحور المركزي فيها، منذ بدايتها في المحمرة، حتى نهايتها في الكويت. ولقد أدى الأنطaki وظيفته التنظيمية لفعل الرحلة، وبيان كل مستلزماتها، ولملفوظها، ابتداء من المقدمة النمطية، ثم أقسامها/ بنيتها السردية للصغرى والكبرى، حتى بدأ الأنطaki سرد أفعالها، متماهيا، صادقاً؛ وهو مما أوجد تواصلاً مستمراً مع المسرود له. أما المسرود فكان المكون الثاني لخطاب الرحلة، وقد قدمه الأنطaki، مبتثلاً من عبارة استهلال السرد التي تؤدي وظيفتها في إعلان انطلاق السرد، لكشف عوالم الرحلة المجهولة. وهنا اعتمد الأنطaki على ثلاث صيغ هي: السرد والوصف والحوار. ولقد شكل السرد لأفعال الرحلة إطارها العام، وولد التخيل لدى المسرود له، لاعتماده على السماع، في حين شكل وصف أحوال الرحلة، أماكنها وأشخاصها، تجسيدا بصريا للموصوف، بأشكال ذلك الوصف المختلفة، داخل ذلك الإطار العام، وجاء الحوار مكملًا للوصف، في إعادة صياغة المادة الحوارية بين المتحاورين، ضمن الإطار العام لسرد الرحلة، ليساعد المسرود له، مع الوصف، على تخيل صورة فعل الرحلة التي حاول الأنطaki نقلها إليه.

ولما كان الأنطaki متماهيا، عاش أحداث الرحلة من أولها إلى آخرها، فإن خطاب الرحلة لا يقوم على المفارقات الزمنية: الخلاصة، والوقف، والحذف، والمشهد بطريقة مقصودة، كما في الرواية مثلا، بل تأتي تلقائية، متوافقة مع السرد والوصف الذي قد يطول ليبلغ عدة صفحات، ليحقق أهدافه في نقل الصورة إلى متخيل المسرود له، كما تأتي في الحوار. فإذا احتاج الأنطaki إلى نقل حوار بأكمله، ليحقق أهدافا معينة، كما في حوارهِ السياسي مع الشيخ مبارك الصباح، لمعرفة موقفه من الدول العثمانية؛ فإنه ينقله مطولا، وقد يأخذ الحوار زمن الحوار الحقيقي نفسه، أما عندما يكون بعض الحوار الحقيقي مهما، لا كله؛ فإن الأنطaki ينقل خلاصة ذلك الحوار، ليحقق هدفه الجزئي، ليمضي بعدها في سرده، أو وصفه. ولقد حقق الوصف والحوار وظيفتهما الفنية في تليظ فعل الرحلة، داخل إطارها السردى العام.

كما تبين أن لغة الرحلة تأتى على مستويين: الأول، هو المستوى الرسمي الفصيح؛ إذ اعتمد على اللغة العربية الفصحى الموسقة، فى المقدمة النمطية والخطب والشعر، وقد لجأ الأنطاكي إلى موروثه اللغوى والشعرى ليعكس ثقافة السمع. أما المستوى الآخر، فأتى ثمرة ثقافة البصر؛ إذ أبصر الأنطاكي كل ما/ من حوله، ثم سرد ما أبصر، فكانت اللغة العربية سهلة مبسطة، وشبيهة بلغة الحياة اليومية المعيشة، بما تضمنته من بعض المفردات العامية؛ إذ فاح النص بثقافة المكان، واتضحت جمالياته فى رشاقة المفردات، التى شكلت نواة البنية السردية الصغرى ثم الكبرى، وقد عاينها الأنطاكي وأبصرها، مؤكدا اعتماده على ثقافة البصر.

أما المسرود له فكان المكون الثالث من مكونات خطاب الرحلة، وبغيره لا تتم العملية السردية، على الرغم من صمته؛ إذ توجه الأنطاكي إلى المسرود له فأقام معه علاقة مبنية على الصدق والأمانة فى نقل صورة فعل الرحلة إلى متخيله، ليحقق هدفه فى التواصل والتأثير فيه. كما تبين الفرق بين السارد الحقيقي/ الأنطاكي الذى عاش فعل الرحلة، والسارد الضمني/ الأنطاكي كما يراه القارئ، وبذلك تبين أن المسرود له الذى توجه إليه الأنطاكي غير القارئ الذى أتى لاحقاً ليقرأ النص الذى قدمه الأنطاكي، وربما أدى ذلك إلى إعادة فهم القارئ للنص، خلافاً لفهم المسرود له.

ومن خلال هذه الدراسة أرانى مطمئناً إلى صحة الفرضية، وعدّ الرحلة المسرودة، لا فعلها، جنساً أدبياً، كبقية الأجناس الأدبية، وذلك من خلال دراسة مكونات الخطاب فى رحلة الأنطاكي "الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة".

الهوامش:

- 1- حسين فهمي، أدب الرحلات، دراسة تحليلية من منظور إثنوجرافي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، رقم 138، الكويت، يونيو 1989م، ص22.
- 2- شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، الطبعة الرابعة، القاهرة 1956م، ص7.
- 3- أدب الرحلات، ص7.
- 4- السابق، ص21 وما بعدها.
- 5- عن رحلات ابن فضلان وسليمان التاجر وأبي زيد حسن السيرافي وبزرك بن شهريار انظر: جورجى زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، الطبعة الثانية، بيروت 1978م، ج1/ 514. وعن رحلات الشريف الإدريسي وأبي حامد الغرناطى وابن جبير والسائح الهروى وعبد اللطيف البغدادي، وأبي بكر الزهرى الغرناطى انظر: تاريخ آداب اللغة العربية، ج2، ص ص88-94.
- 6- حسين نصار، أدب الرحلة، لونجمان، الشركة المصرية العالمية للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 1991م، ص ص19-49.
- 7- عبد المسيح بن فتح الله عبد المسيح بن حنا الأنطاكي الحلبي (شاعر ورحالة وصحافي يوناني الأصل، ولد في حلب سنة 1219هـ/ 1874م، صاحب جريدة العمران، توفي بالقاهرة سنة 1341هـ/ 1923م). خير الدين الزركلى، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت 1986م، 15314.
- 8- ناصر عبد الرزاق الموافى، الرحلة فى الأدب العربى (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، دار النشر للجامعات المصرية - مكتبة الوفاء، الطبعة الأولى، القاهرة 1995م، ص ص23-26.
- 9- حسنى محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأنلس، الطبعة الثانية، بيروت 1983م، ص ص8-9.
- 10- أدب الرحلة، ص132.
- 11- مجدى وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، بيروت 1984م، ص17.
- 12- عبد الوهاب الرقيق وهند بن صالح، أدبية الرحلة فى رسالة الغفران، دار محمد على الحامى، الطبعة الأولى، صفاقس، الجمهورية التونسية 1999م، ص8.
- 13- سعيد يقطين، خطاب الرحلة العربى ومكوناته السردية، مجلة علامات، جدة، ج9-33، ربيع الآخر 1414هـ/ سبتمبر 1993م، ص170.
- 14- خطاب الرحلة، ص 170.

- 15- السابق، ص 173.
- 16- السابق، ص 162.
- 17- السابق، ص 177.
- 18- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، دار النهار للنشر، الطبعة الأولى، بيروت 2002م، ص 88.
- 19- معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 88.
- 20- خطاب الرحلة، ص 171.
- 21- السابق، ص 172.
- 22- السابق، ص 173.
- 23- السابق، ص 173.
- 24- عبد المسيح الأنطاكي، الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة، مطبعة العرب، مصر 1325 هـ، الرسالة الأولى، ص 406. نشر الأنطاكي رحلته سردا في مجلته "العمران" على شكل رسائل، بلغت ثلاثا وعشرين رسالة، وجاءت كل رسالة في عدد يصدر كل أسبوع أو أكثر، نشر الرسالة الأولى في 22 محرم سنة 1326 هـ، وكتبها سردا في 18 ذى القعدة سنة 1325 هـ.
- 25- ينظر في وظائف السارد، جيرار جينيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج ترجمة: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الثانية، 1997م، ص 264 وما بعدها. وانظر في الموضوع نفسه: معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 96 وما بعدها؛ إذ أفادت الدراسة من الكتابين اللذين تناولوا سرد الرواية، وليس الرحلة.
- 26- الشيخ خزعل بن جابر بن جاسب الكعبي العامري، أمير المحمرة، ولد سنة 1279 هـ / 1862م، في المحمرة ونشأ فيها، وتوفي سنة 1355 هـ / 1936م بطهران، بعد أن استولى الإيرانيون على المحمرة وكل بلاد الأهواز، وأسموها "خوزستان"، وكان صديقا حميما للشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت آنذاك. الأعلام، 2/ 304.
- 27- الشيخ مبارك بن صباح بن جابر بن عبد الله بن صباح، أمير الكويت. ولد في الكويت سنة 1254 هـ / 1838م، ونشأ فيها، وتوفي سنة 1334 هـ / 1915م بالكويت، كان صديقا حميما للشيخ خزعل، الذي حضر إلى الكويت للاطمئنان على صحة الشيخ مبارك الصباح قبل وفاته. الأعلام، 5/ 270.
- 28- الرياض المزهرة، ص 406.
- 29- السابق، 12، ص 527 - 533.
- 30- السابق، 1، ص 412.

- 31- السابق، 12، ص 527.
- 32- السابق، 12، ص 527.
- 33- الرياض المزهر، 1، ص 406.
- 34- السابق، 13، ص 533.
- 35- السابق، 1، ص 406.
- 36- السابق، 13، ص 533.
- 37- السابق، 2، ص 414.
- 38- السابق، 1، ص 406.
- 39- السابق، 14، ص 532.
- 40- السابق، 2، ص 414.
- 41- السابق، المقدمة ص 405، وانظر ص 413.
- 42- السابق، 1، ص 412.
- 43- السابق، 11، ص 519.
- 44- السابق، 12، ص 528.
- 45- السابق، 12، ص 529.
- 46- السابق، 12، ص 529.
- 47- السابق، 12، ص 529.
- 48- السابق، 12، ص 532.
- 49- أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه د. يوسف على الطويل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1407هـ/ 1987م، ج 6، ص 402.
- 50- الرياض المزهرة، المقدمة ص 402.
- 51- صبح الأعشى، ج 6، ص 215.
- 52- الرياض المزهرة، المقدمة، ص 402.
- 53- صبح الأعشى، ج 6، ص 218.
- 54- الرياض المزهرة، المقدمة، ص 402.

- 55- صبح الأعشى، ج6، ص221.
- 56- الرياض المزهرة، المقدمة، ص402.
- 57- السابق، 20/ الأخيرة، ص605.
- 58- السابق، 1، 2، 3، صص406-440.
- 59- السابق، 4، ص441.
- 60- خطاب الحكاية، ص264.
- 61- معجم مصطلحات نقد الرواية، ص97.
- 62- الرياض المزهرة، 2، ص418.
- 63- السابق، 12، ص529.
- 64- السابق، 2، ص422.
- 65- السابق، المقدمة، ص405.
- 66- السابق، المقدمة، ص403.
- 67- السابق، 1، ص411.
- 68- السابق، 14، ص533.
- 69- عرف جبرار جينيت الصيغة فى سرد الرواية بقوله: "اسم يطلق على أشكال الفعل المختلفة التى تستعمل لتأكيد الأمور المقصودة، وللتعبير عن (...) وجهات النظر المختلفة التى ينظر منها إلى الوجود أو العمل". خطاب الحكاية، ص177 وما بعدها. وعن السرد والوصف والحوار أسست نظريا على ما جاء فى "أدبية الرحلة"، صص45-58.
- 70- الرياض المزهرة، 1، ص412.
- 71- السابق، 5، ص455.
- 72- السابق، 16، ص543.
- 73- السابق، 3، ص435.
- 74- السابق، 2، ص423.
- 75- معجم مصطلحات نقد الرواية، ص171.
- 76- أدبية الرحلة، ص48.
- 77- الرياض المزهرة، 3، ص428.
- 78- السابق، 3، ص435.

- 79- السابق، 3، ص432.
- 80- السابق، 17، ص557.
- 81- السابق، 3، ص435.
- 82- السابق، 3، ص436.
- 83- السابق، 3، ص436.
- 84- السابق، ص438.
- 85- السابق، 17، ص ص555 - 556.
- 86- السابق، 17، ص560.
- 87- السابق، 17، ص561.
- 88- السابق، 18، ص562.
- 89- السابق، 17، ص566.
- 90- السابق، 17، ص566.
- 91- السابق، 4، ص441.
- 92- السابق، 4، ص441.
- 93- السابق، 4، ص441.
- 94- السابق، 4، ص441.
- 95- السابق، 4، ص442.
- 96- السابق، 4، ص443.
- 97- السابق، 4، ص443.
- 98- السابق، 4، ص ص444 - 445.
- 99- السابق، 4، ص588.
- 100- السابق، 22، ص588.
- 101- السابق، 22، ص ص588 - 589.
- 102- السابق، 2، ص432.
- 103- السابق، 22، ص588.
- 104- السابق، 1، ص ص406 - 407.

- 105- السابق، 2، ص418.
106- السابق، 21، ص580.
107- السابق، 2، ص415.
108- السابق، 2، ص417.
109- معجم مصطلحات نقد الرواية، ص79.
110- السابق، ص80.
111- الرياض المزهرة، 12، ص529.
112- السابق، 22، ص ص591 - 594.
113- السابق، 5، ص ص459 - 563.
114- السابق، 17، ص ص557 - 559.
115- السابق، 7، ص ص482 - 483.
116- السابق، 23، ص ص600-602.
117- السابق، 12، ص532.
118- السابق، 23، ص597.
119- السابق، المقدمة، ص402.
120- السابق، 2، ص421.
121- السابق، 14 / 533.
122- السابق، 1 / 412.
123- معجم مصطلحات نقد الرواية، ص151.
124- خطاب الحكاية، ص268.

